القسم الثاني

سير السراة

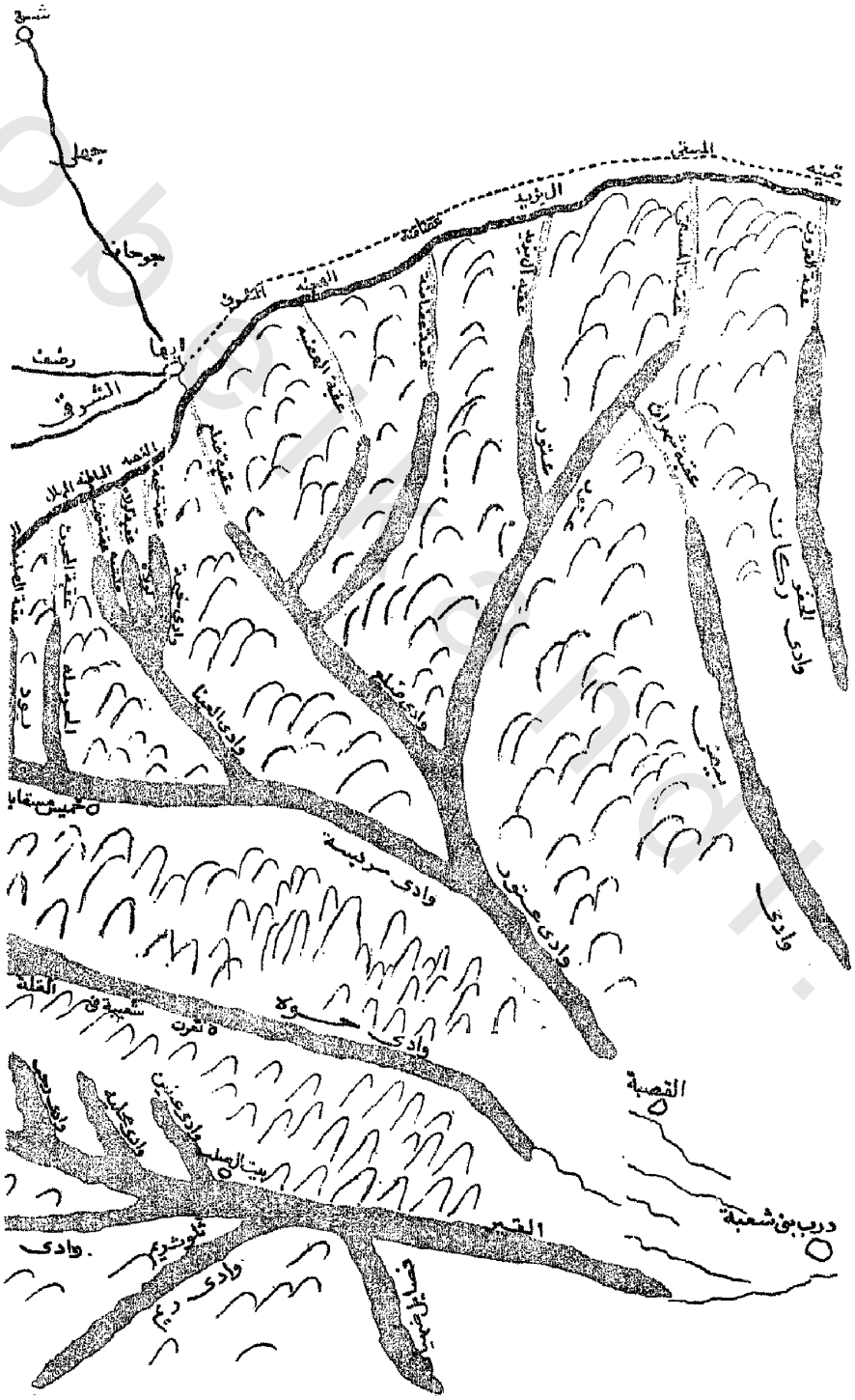

دقيقة	ساعه	من	الى
٠٠	٤	شعار	الحارث
٠٠	١	الحارث	العاصم
٢٠	٠	العاصم	بني غنمى
٢٠	٠	بني غنمى	المسقوى
٣٠	٠	المسقوى	الشرف
١٠	٢	الشرف	السودة
٠٠	١	السودة	السقا
٠٠	٢	السقا	العبيد
٣٠	٥	العبيد	المهلل
٣٠	٠	المهلل	الباطنه
١٥	٠	الباطنه	الملصة
٠٠	٢	الملصة	ايها
٤٥	١	ايها	الهجنة
٣٠	٢	الهجنة	عضاضة
٣٠	٠	عضاضة	الديزيد
٠	٢	الديزيد	المسقى
٣٠	١	المسقى	تميمة
٠٠	٢٣	المجموع	

خريطة عسير

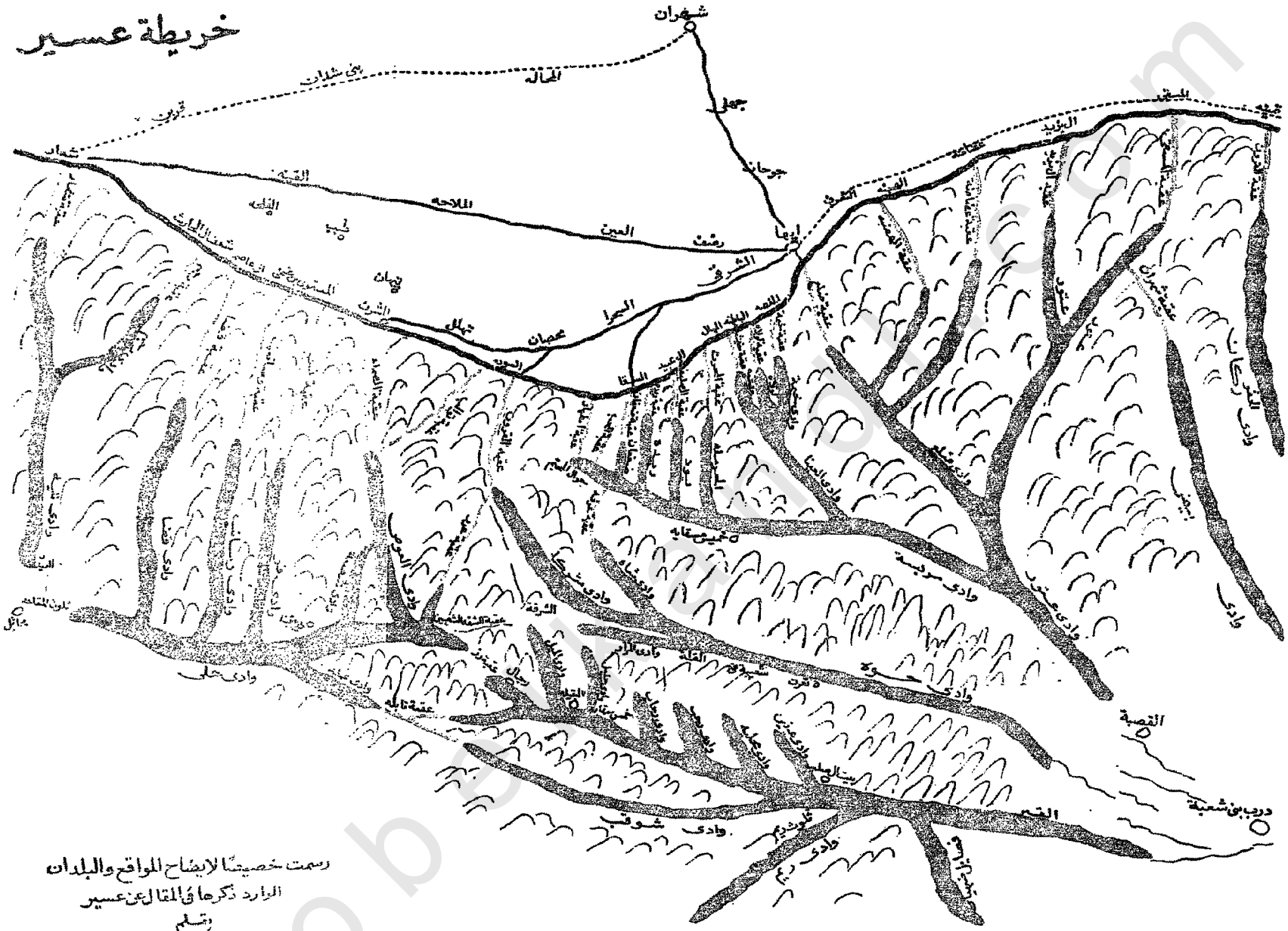

دقيقة	ساعه	من	الى
٠٠	٤	شعار	الحارث
٠٠	١	الحارث	العاصم
٣٠	٠	العاصم	بني غنى
٢٠	٠	برنخشى	المستوى
٣٠	٠	المستوى	الشرف
١٠	٢	الشرف	السودة
٠٠	١	السودة	السقا
٠٠	٢	السقا	العبيد
٣٠	٠	العبيد	المهلل
٣٠	٠	المهلل	الباطنة
١٥	٠	الباطنة	الملصة
٠٠	٢	الملصة	ايها
٤٥	١	ايها	الحجنة
٣٠	٢	الحجنة	عضاضة
٣٠	٠	عضاضة	الدبيد
٠٠	٢	الدبيد	المسقى
٣٠	١	المسقى	تمنية
٠٠	٢٣	المجموع	

رسمت خصيصًا لايضاح المواقع والبلدان
الوارد ذكرها في المقال عن عسير
بقلم
فؤاد حمزة
١٣٥٣ - ١٣٥٤

الفصل الأول

بلاد عسير

مقدمة — حدودها — وعورة بلاد عسير — أودية عسير — الطريق من الخميس إلى أبها

١ — مقـــدمة

« عسير » كاسم جغرافى ، اصطلاح حديث جداً ، يعود تاريخ استعماله إلى حوالى مائة وخمسين عاماً ، ولكنه كاسم قبيلة أو حلف من القبائل ، اصطلاح غاية فى القدم . والأصل فى الاصطلاح الجغرافى هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التى تسكنها ، فيقال بلاد عسير أو ديرة عسير ، ويقصدون بذلك أوطان القبيلة الشهيرة التى تسكن أعالى السروات ، وعلى الأخص سراة الأزد ، ثم أهملت النسبة واشتهرت البلاد باسم عسير وفى العهد العثمانى جعلت بلاد عسير « متصرّفية » باسم : « متصرفية عسير » .

أهمل قدماء مؤرخى العرب اسم « عسير » كبلاد ، ولم يرد ذكرها فى تقاسيم بلاد العرب المعلومة وهى : الحجاز واليمن وتهامة ونجد والعروض . وجعلوا حدود اليمن متصلة بالحجاز من ناحية السروات ومن ناحية تهامة . وقد أشار إلى ذلك ابن خرداذبة حيث قال : « وفيما بين سَرُوم راح والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه الغَرب غير أنها أعظم منه ، وهى الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن »[1] . وقال «ياقوت» : «مهجرة» بلدة فى أول أعمال اليمن بينها و بين «صعدة» عشرون فرسخاً[2] وكانوا يطلقون على هذه البقعة من بلاد العرب : « بلاد السراة » و ينسبون كل سراة إلى القبائل الساكنة فيها مثل « سراة جبلان » و «ألْهَان» و « المصانع» و «قَدَم»

---

(١) المسالك والممالك ص ١٣٥ و ١٣٧

(٢) معجم البلدان م ٨ ص ٢٠٨

و « عَذْر » و « هَنُوم » و « سراة خولان » و « جَنْب » و « عَنْز » و « الأزْد » وغيرها[١] . وكانوا يسمونها كما قال « ياقوت »[٢] : « طَوْداً » بفتح أوله وسكون ثانيه والدال : اسم عَلَم للجبل المشرف على « عِرْنة » ، وينقاد إلى « صنعاء » ، ويقال له : « السراة » . وكذلك سماها « الهمدانى »[٣] .

وقد توسعوا فى إطلاق لفظ «عسير» على بلاد ليس فيها عسيرى واحد كما سنوضحه فى محله من هذا الكتاب ، ولكن الذى يعنينا الآن هو أن هذه البقعة الجبلية كانت تقطنها بطون من القبائل اليمانية — وعلى رأى بعضهم : يمانية فتنزّرت — من أسلم الأزد ، أطلق عليها اسمها فعرفت بهم ودعيت : «بلاد عسير» . وكذلك تعرف قرى كثيرة بأسماء ساكنيها مثل « زور آل الحارث » و « حلّة آل همام » وغير ذلك مما هو مشهور فى بلاد عسير واليمن . ثم لما قويت شوكة القبيلة وامتدت سيطرتها إلى بلاد القبائل المجاورة لها غطى اسمها على اسم تلك القبائل وأصبحت تعرف باسمها . فلما جاءت الحكومات المدنية وجدت قبيلة « عسير » أشد قبائل تلك المنطقة مراساً وأعظمها هيبة ونفوذاً وأكثرها عدداً وعُدّة ، فأطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم « عسير » وجعلتها الحكومة العثمانية متصرّفية كما مرّ[٤] . وسنحاول أن نرسم فى النبذة التالية صورة صحيحة عن حدود البلاد التى تسكنها قبيلة « عسير » والبلاد التى تتبعها ، أو التى ضمت إليها .

٢ — حدود « عسير »

ذكرت فى فصل مضى من القسم الأول كيف حدّد لى الأعراب وادى « بيشة» بأنه يمتد من الشعف إلى السعف . والظاهر أن أهل هذه البلاد مولعون بالاصطلاحات المقتضبة التى تغنى عن التعريفات المفصلة ، لأنى حينما سألت بعض كبار «عسير» عن

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٦٨ — ٧١

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٧١ و ١١٨ ومعجم البلدان م ٦ ص ٦٧

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١١٨

(٤) قاموس الأعلام م ٥ ص ١٣٥٤

حدود بلادهم أفادنى بتعريف جامع مانع فى عرفهم كتعريف أهل « بيشة » لواديهم . قال :

« حدود عسير : من زهران إلى ظهران » . تعريف يعجز أكبر علماء الجغرافيا عن حل طلاسمه ورموزه ، علاوة على أنه تعريف مبالغ فيه يفيد فى الواقع مدى سُلطان قبيلة «عسير» فى وقت من الأوقات أكثر مما يفيد حدود بلاد القبيلة ، فزهران بلاد قبيلة عظيمة تقع بين بلاد الطائف و بلاد غامد ، وتبعد عن « أبها » مركز عسير ١٢ مرحلة للمشاة أو تزيد . و« ظهران» مركز « وادعة » من « هَمْدان بن زيد » إلى الجنوب من عسير وقحطان ، بين بلاد قحطان و بلاد « صعدة » فى اليمن . وتبعد بلدة ظهران عن أبها ٦ مراحل للماشى ، فتكون مسافة بلاد عسير بحسب تعريف أهلها وتحديدهم عبارة عن ١٨ مرحلة ممتدة من الشمال إلى الجنوب . وقد تكون ثلاث مراحل أو أربعاً عرضاً من الشرق إلى الغرب .

غير أن هذا التحديد مبالغ فيه جداً كما ذكرت ، لأنه يشمل بلاد قبائل كثيرة لا تجمعها بقبيلة عسير غير رابطة الجوار والخضوع فى بعض الحقب لسلطان أمير أو أمراء من « عسير » ، كما حدث ذلك فعلا أيام سيطرة «عائض بن مرعى» مؤسس إمارة آل عائض ، وكما وقع أيام ولده محمد بن عائض أكبر أمراء الأسرة العائضية على الإطلاق . والقبائل التى يشملها التحديد المذكور آنفا هى كما يأتى اعتباراً من الجنوب عند الحدود اليمانية — السعودية إلى الشمال .

(١) بلاد وادعة وسَنْحان (٥) بلاد بالأحمر (٨) بلاد بنى شهر
(٢) بلاد قحطان بأقسامها (٦) بلاد بالأسمر (٩) بلاد غامد
(٣) بلاد عسير (٧) بلاد بنى عمرو (١٠) بلاد زهران
(٤) بلاد شهران .

وقد تكون بلاد «عسير» فى منتصف هذه البقعة الفسيحة من أرض السروات .

وذكر لى عسيرى آخر حدود قبيلة « عسير » بالنسبة إلى التحديد الصحيح الذى تشتمل عليه ديرة القبيلة الحقيقية فقال : « إن بلاد عسير من تَمْنِيَة إلى شعار » .

والأوّل جبل عظيم فى جنوبى بلاد «عسير» حيث تتألف الأودية الكثيرة مثل « بيشة » و « عِتْوِد » و « ضَلَع » ، والثانى اسم عقبة مشهورة تسمى « شعار » أو « تَيَّـة » ، وهى واقعة فى منتهى حدود « عسير » الشمالية بينها وبين بلاد بالأحمر .

قال الهمدانى : « ثمّ يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عَنْز ، وعسير يمانية تنزّرت ودخلت فى عَنْز ، فأوطان عسير إلى رأس تَـيَّة وهى عقبة من أشراف تهامة وهى أبها ، وفيها قبر ذى القرنين فيما يقال ، عُثر عليه على رأس ثلثمائة من تاريخ الهجرة والدَّارة ، والفُتَيْحا ، واللَّصَبَة ، والمَلَحَة ، وطَبَب ، وأتَانة ، وعُبَل ، والمَغُوث ، وجُرَشَة ، والحَدَبة . هذه أودية عسير كلّـها »[1] .

ونقول إن بلاد القبيلة المعروفة باسم « قبيلة عسير » تتألف من الجبال والأودية والسهوب الواقعة بين أعلى السراة الأزد فى الغرب ، وبلاد شهران فى الشرق ، وبلاد قطحان فى الجنوب ، وبالأحمر وبالأسمر فى الشمال . وبعبارة أخرى هى بلاد واقعة بين جبل تمنية وعقبة القرون ووادى رِكَان الممتد إلى الحُقُو فالبحر من جهة الجنوب ، وبلاد بنى شعبة وربيعة اليمن ورجال ألمع ووادى حَلِى من جهة الغرب ، وعقبة شعار ووادى تَيَّة والسهب الممتد إلى بلاد بالأحمر من الشمال ، وسلسلة الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران من الشرق . وإذا قيست المسافات بالساعات للمشاة كانت المسافات من شعار فى الشمال إلى تمنية فى الجنوب ثلاثا وعشرين ساعة بالمشى السريع ، وفيما يلى كشف يوضح هذه المسافة[2] : —

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ — وأسماء الأوطان ما تزال إلى يومنا هذا على تسميتها ما عدا عبل والمغوث وجرشة والحدبة لم أتصل بها ، وربما تغيرت أسماؤها بتقادم الزمن .

(٢) انظر تفاصيل العقبات والمواقع فى الخريطة المرافقة .

دقيقة	ساعة	
٠٠	٤	من شعار إلى عقبة آل الحارث
٠٠	١	من آل الحارث إلى عقبة آل عاصم
٣٠	٠	من عقبة آل عاصم إلى عقبة بنى غنمى
٢٠	٠	من بنى غنمى إلى عقبة المسقوى
٣٠	٠	من المسقوى إلى عقبة الشرف أو الصماء
١٠	٢	من الشرف إلى عقبة السودة
٠٠	١	من السودة إلى عقبة السقا
٠٠	٢	من السقا إلى عقبة آل عبيد
٣٠	٠	من آل عبيد إلى عقبة المَهْلل
٣٠	٠	من المهلل إلى عقبة الباطنة
١٥	٠	من الباطنة إلى عقبة الملصة
٠٠	٢	من الملصة إلى أبها (أو إلى عقبة ضلع)
٤٥	١	من أبها إلى عقبة الهضبة
٣٠	٢	من الهضبة إلى عقبة عضاضة
٣٠	٠	من عضاضة إلى عقبة آل يزيد
٠٠	٢	من آل يزيد إلى عقبة المسقى
٣٠	١	من المسقى إلى تمنية وعقبتها .
٠٠	٢٣	المجموع

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التى من الشمال إلى الجنوب ، وهى — بين أبها و بلاد شهران — تبلغ ٣٥ كيلومترا ، فإذا اعتبرنا بلدة « حِجْلة » فاصلا بين ديرتى شهران وعسير كانت المسافة من أبها إلى أقصى

حدود عسير فى الشرق لا تزيد عن ٢٠ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى شمار تبلغ ٢٨ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى تمنية أقل من ذلك . غير أن السيارة لا يمكنها السير إلا عن طريق خميس مشيط على محاذاة مجرى وادى بيشة . وعلى هذا الاعتبار تكون بلاد قبيلة عسير عبارة عن بقعة من الأراضى الجبلية يبلغ طولها ٥٠ كيلومترا وعرضها ٤٠ كيلومترا على وجه التقريب . فأين هذه المساحة من المساحة الواقعة بين زهران وظهران ؟

٣ — وعورة بلاد « عسير »

مثلما أطلق اسم القبيلة أو حلف القبائل على البلاد التى تستوطنها ، فلا يستبعد أن يكون لبلاد « عسير » نصيب من اسمها نظراً لوعورتها وصعوبتها . حقاً إن بلاد «عسير» عسيرة المرتقى وعرة المسالك كثيرة الجبال والوهاد والأودية . قامت سلسلة جبال السراة سداً منيعا من جهة المغرب فلا يمكن ارتقاؤها والعبور منها إلا من فجوات حفرتها الطبيعة ونحتتها بين ملتقى الجبال وتقاطع الأودية . وقد قامت هذه العقبات حارساً أميناً على البلاد من جميع الجهات التى يأتيها الخطر منها ، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاتحين إلا لماما ، فصمدت للهجمات صموداً عجيباً ، وإن كانت استبيحت مرتين فى العصر الحديث بسبب رداءة الدفاع عن حصونها الطبيعية أو بسبب وقوع الخيانة فيها : المرة الأولى حينما هاجمها «رديف باشا» فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى من عقبة الصماء واحتل أبهـا وخَرْمَلة ورَيْدة ، والمرة الأخرى بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة حينما هاجمتها قوات تهامة المنضوية تحت لواء السيد « محمد بن على الإدريسى » عام ١٩١٠ ميلادية عن طريق عقبة شعار .

ومنذ وصولى إلى أبها ، وجّهت همّى إلى اكتشاف الطرق القريبة التى يمكن اجتياز السيارات منها إلى تهامة تسهيلا لمواصلات الجيش المحتشد فى السراة وفى تهامة ولذلك جست خلال الديار وأنفذت المهندس إلى المواقع التى لم أتمكن من زيارتها

بنفسى ، ولكنى كنت كناطح الصخرة تتحطم دونها جهوده ، فإن جبال السراة تؤلف حاجزاً قوياً لايمكن تخطيه إلا من فرجات معدودة يطلق عليها اسم العقبات ، وهى بطبيعتها مبدأ واد منحدر من أعلى الهضبة إلى سفحها ، ثم يمتد الوادى متغلغلا بين الجبال متعرّجا حول الآكام والرّبى ، إلى أن ينتهى عند ساحل البحر فى تهامة .

سأذكر الأودية المنحدرة من أعالى الجبال فى بلاد قحطان وعسير إلى ساحل تهامة فى القسم الخاص بتهامة بمثل الطريقة التى اتبعتها ومازلت أتبعها فى سرد تفاصيل الأودية التى تصفّ السفوح الشرقية لسلسلة السراة . وقد ذكرت فى القسم الأول من الكتاب ثلاثة أودية منها — تربة ورَنْية و بيشة — وسأذكر فى هذا القسم وادى تثليث ، وأذكر فى قسم نجران الواديين الآخرين نجران وحبونة . ولذلك سأكتفى هنا بذكر مبدإ الأودية فى العقبات المشهورة .

ذكرت فى النبذة السابقة أسماء ١٧ عقبة ، وقد ذكر لى خبراء هذه البلاد عقبات أخرى غيرها ، فبلغ مجموعها ٢٤ عقبة ، لا أرى بأساً من حصرها مع ذكر الجهات التى تصبّ فيها بتهامة :

(١) عقبة شعار ، وتبعد ٢٨ كيلو مترا شمالى أبها ، وتقع غربى الحدود الفاصلة بين ديار بالأحمر وديار « عسير » . وهى فى الواقع المنفذ المطروق من عسير إلى محائل والقنفذة . والطريق منها إلى أبها ممهد لسير السيارات من أيام الحرب العامة ، وأصعب قسم فيه عقبة أمّ الرّكب بقرب بلدة « رِضْف » على بعد ستة كيلومترات من أبها .

(٢) عقبة رِجْم ، وتبدأ من شعف آل الحارث من ربيعة ورُفَيْدة من عسير ، وتصب فى وادى تَمْنِيَة .

(٣) عقبة قضا ، وتبدأ من شعف آل عاصم من ربيعة ، وتصبّ فى النهاية فى وادى حَلِى بن يعقوب .

(٤) عقبة وسانب ، تبدأ من المسقوى فى بلاد ربيعة ورفيدة من عسير وتنتهى فى وادى حَلِى .

(٥) عقبة فوده ، تصبّ فى وادى حَلِى عند جرف ابن موهوب فى بلاد ألمع .

(٦) العقبة الصماء ، بقرب تَهْلَل ، وهى من أصعب العقبات ، وقد يعتبرونها أصعب وأوعر من ضَلَع وشعار ، وتنتهى فى بلاد رجال ألمع .

(٧) عبقة توالب ، تبدأ من جبل السودة الذى هو أعلى نقطة فى سراة عسير ، وتصبّ فى وادى العَوْص فى بلاد رجال ألمع ، وهذا ينتهى فى وادى حَلِى .

(٨) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل السودة أيضا ، وتصبّ فى وادى شوكان ضمن بلاد رجال ألمع .

(٩) عقبة أمطهار (الطهار) وتبدأ من السقا وتصب فى وادى مَرَبَة ضمن بلاد رجال ألمع .

(١٠) عقبة ضفعاف ، وتبدأ من السقا وتصب فى مَرَبَة .

(١١) عقبة رَيْدة ، تبدأ من السقا وتصب فى مَرَبَة .

(١٢) عقبة الصليف ، وتصب فى وادى لِتْوة الذى ينتهى فى مَرَبَة .

(١٣) عقبة آل المحارث (الحارث) تبدأ من المَهْلَل وتصب فى وادى حَرَمَلَة الذى ينتهى فى مَرَبَة .

(١٤) عقبة خثيعة ، تبدأ من المهلل وتصب فى وادى الفَيْنَة ثم فى مربة .

(١٥) عقبة لَوْلاَه ، تبدأ من الباطنة وتحول على وادى الفَيْنَة ثم تصب فى مربة .

(١٦) عقبة خيمة ، تبدأ من المَلَصَة وتحول على وادى الفينة ثم تصب فى مربة

(١٧) عقبة ضَلَع بقرب أبها على بعد كيلومترين منها إلى الجنوب الغربى ، وهى الطريق المطروق من أبها إلى القصبة فدرب بنى شعبة فجيزان .

(١٨) عقبة قِصْرى أو الشرف ، وتلتقى مع عقبة ضلع فى أسفلها عند منفرج الوادى قبل القصبة .

(١٩) عقبة الهضبة ، تبدأ بقرب الشرف أيضا وتنزل إلى وادى ضَلَع .

(٢٠) عقبة عضاضة ، تبدأ من عضاضة وتنزل إلى وادى ضَلَع .

(٢١) عقبة آل يزيد ، أو عقبة عِتْود ، وتصب فى وادى عِتْود .

(٢٢) عقبة المسقى ، وتصب فى عقود .

(٢٣) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل تمنية وتصب فى وادى ركان ثم فى وادى الحُقُو .

(٢٤) عقبة بن حَمُّوض أو عقبة شهران من آل ينفع ، تبدأ من تمنية ما بين وادى عتود ووادى بَيْض .

وتوجد بالطبع عقبات أخرى فى بلاد قحطان ووادعة إلى الجنوب من بلاد عسير ، سأذكرها فى حينها ، لأنها هى المنافذ الوحيدة إلى تهامة .

وانحدار هذه العقبات شديد الميل بعيد المدى ، وقد يستغرق النزول من العقبة بضع ساعات ، كما أنّه فى بعضها لا يتجاوز الساعة .

وجبال عسير مرتفعة جدا ، وربما كانت أعلى الجبال فى السراة بعد دخولها بلاد الملك « ابن سعود » . وقد سجّل البارومتر (٩٣١٠) أقدام فى قمة جبل « ذِرَة » المشرف على أبها ، و(٩١٢٠) قدما فى عقبة « ضَلَع » ، و (٩٦٢٠) قدما فى عقبة « أم الركب » بقرب أبها ، و (٨٧٥٠) قدما فى عقبة شعار ، و (١١٠٠٠) قدم فى « تَهْلل » . وكان أعظم ارتفاع سجله البارومتر فى السودة إذ بلغ (١١٤٢٠) قدما ويوجد بقرب السودة جبل آخر مرتفع بينها وبين تَهْلل لم نصعد إليه ، ولكن المهندس قدّر ارتفاعه بنحو اثنى عشر ألف قدم .

٤ — أودية « عسير »

حينما أتى «الهمدانى» على ذكر قبيلة عسير قال : «والدارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل والمغوث وجُرَشة وَحَدَبَة : هذه أودية عسير كلها[1]» . و«عسير» بلاد الأودية والجبال ، فلا عجب أن تكون كل عقبة من العقبات التى أوردنا

(١) صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١١٨ .

ذكرها فى الفقرة السابقة رأسا لواد كبير أو صغير ، وقد تكون الأودية الناشئة من رءوس العقبات أودية رئيسية كبيرة مثل « عِتْود » و « حَلِى » و « الحُقُو » ، وقد تكون فرعية تصب فى الأودية الرئيسية .

أما من جهة سفوح جبال «عسير» الغربية فلا أشك فى أن كل عقبة تؤلف وادياً اسمه كاسم العقبة نفسها . وسنذكر تفاصيل هذه الوديان وما يقوم حولها من قرى ومزارع وعمران فى تهامة بعد خروجها من ديار عسير ورجال ألمع و بنى شعبة وأهل حلى فى بحثنا عن تهامة عسير .

أما من جهة سفوح جبال عسير الشرقية ، فهنالك أودية كثيرة قد أهملها «الهمدانى» الذى نقلنا عبارته فى مطلع هذه الفقرة . حقا إن الأودية التى تصفى مياه السفوح الشرقية والجنوبية لعسير غير طويلة ، ولكنها فى الواقع من أهم روافد وادى بيشة ، وتجتمع به بقرب بلاد ابن هشبل كما ورد ذكره فى بحثنا عن بلاد شهران . وإليك أهم الأودية الكائنة فى هذه الجهة من بلاد عسير :

أولا : وادى خيبى : ينبع من السُّقَا إلى الغرب من عقبة ضَلَع وعلى بعد بضع ساعات إلى الجنوب الغربى عن أبها . وحينما يقرب من أبها يسمّى باسمها ، ثمّ يمتدّ مسافات طويلة حيث ترفده أودية فرعية كثيرة إلى أن يصبّ فى وادى بيشة شهران عند بلاد ابن هشبل ، وتقوم على ضفاف هذا الوادى قرى بنى مغيد من قبيلة « عسير » . وهو أعظم أودية عسير .

ثانياً : وادى حَمْرة : ينبع من جبال تهلل و يصب فى وادى أبها عند بلدة المَحَّالة من مراكز بنى مالك من عسير ، و يملك البلاد القريبة من رأسه « عَلْكَم » من عسير ، و يملك ما كان فى أواسطه وأسفله بنو مالك من عسير .

ثالثاً : وادى المَلَاحَة : وينبع بالقرب من « تَهْلَل » فى بلاد « عَلْكَم » ، و بعد أن يسير مسافة قصيرة يلتقى بوادى أتانة .

رابعاً : وادى أتانة : وينبع بالقرب من « الطّلْحة » فى ديار « ربيعة

وَرُفَيْدة » ، ويلتقى به وادى الملاحة فى قرية « الفَـيَّة » ، وحينما يلتقيان يتغيّر اسماهما و يتّحدان فيصبح اسمهما (الوادى الطويل) نظراً لطوله ، إذ يسير مسافة طويلة قبل أن يلتقى بوادى أبها عند « الخَنْقة » قبل بلاد ابن هشبل .

خامساً : وادى طَبَب : يطلع من باحة « ربيعة » ويمرّ على آل بجاد ، ثم يصبّ فى وادى « تمنية » إلى جهة تهامة .

سادساً : وادى جوحان : وينبع بالقرب من العقبات الواقعة جنوبى أبها ، ويصبّ فى وادى أبها عند بلدة « قاعد » و « الدارة » بين بنى مغيد و بنى مالك . وقد زرت هذا المـكان فوجدت عند ملتقى الواديين مستنقعاً عظيما تجمعت المياه فى بعض أنحائه فـكوّنت بركا متسعة نما على أطرافها نبات الحلفا والمَلَص ، وفيها نوع من السـمك ذى اللون الأسود . وبجوار هذه البرك مزار قديم العهـد هدمه الإخوان ، يزعم أهل هذه البلاد أنه قبر ذى القرنين .

سابعاً : وادى ضَلَع : وعلوّه الجَنْدل ، وهى جبال تقع إلى جنوب جبل « ذِرَة » المشرف على أبها والحارس لها من جهة الشرق ، ويصبّ فى وادى عِتود الغربى (أى المتجه إلى تهامة) .

ثامنا : وادى مَرَبَة : ويخرج من بلدة « رَيْدة » إلى الغرب من أبها ، ويتجه غربا بجنوب إلى جهة تهامة حيث يلتقى بوادى ضَلَع قبل أن يصب هذا الأخير فى عِتْود الغربى .

تاسعا : وادى عِتود : وهو فى الحقيقة واديان أحـدهما شرقى والآخر غربى . وكلاهما ينبع من عقبة عتود المذكورة آنفا ، ولـكن أحدهما ينحدر من العقبة إلى جهة الغرب حيث يصب فى البحر ، والآخر يتجه إلى الشمال الشرقى محاذيا وادى بيشة غير بعيد عنه حوالى كيلومترين . وتقوم على هذا الوادى خمس قرى لآل راشـد من شهران . وكان من الواجب ذكره فى بحثنا عن شهران لأنه ينبع من عقبة عتود ، وهى كما يخفى لآل يزيد من بنى مغيد من عسير . وهذان الواديان هما اللذان قال فيهما الشاعر إنهما مساكن الأسد فى الجزيرة ، كما مرّ بك .

٥ — الطريق من « الخميس » إلى « أبها »

تبلغ المسافة من سوق ابن مشيط فى بلاد شهران إلى سوق أبهـا قاعدة عسير ٣٥ كيلومترا تقطعها السيارة فى ساعة وبضع دقائق ، نظراً لوعورة بعض أقسام الطريق الذى افتتحه « محى الدين باشا » متصرف عسير وقائد فرقتها العسكرية أيام الحرب العامة لسير المركبات . و « محي الدين باشا » لم يسلم البلاد إلا عقب الهدنة عام ١٩١٨ ، وقد عين فيما بعد وزيرا مفوضاً لحكومة تركيا فى القاهرة .

غادرنا ساحة السوق حيث كان مخيمنا ، ضحى يوم الخميس الواقع فى ٢٣ شوال ١٣٥٤ (٨ فبراير ١٩٣٤) ، وسرنا على جانب وادى بيشة الغربى ، وكانت القرى على يسارنا — وتمتد الطريق فى أرض سهلة تتخللها ربى وهضاب كثيرة إلى مسافة ثلاثة كيلومترات عن السوق ، حيث تقوم بلدة « ذهبـان » التى يسكنهـا الأمير سعيد بن مشيط ، وبعد أن تكون الطريق سائرة فى اتجاه جنوبى إذا بها تنحرف إلى جهة الشمال الغربى ، بين هضاب صخرية صعبة المسالك طولها كيلو متران .

و بعد خمسة كيلو مترات من مفرق قصر ابن مشيط نصل إلى واد كبير هو وادى عِتود المنوه به فى النبذة السابقة .

يبلغ عرض مجرى الوادى أكثر من خمسين مترا ، وينبت على أطرافه الحلفا والغزار والقصب ، ويشاهد المسافر من هذا المكان قرية واقعة إلى جهة الشمال أسفل الوادى هى أول قراه ، فلما رأيناها قدرنا بعدها عنا بنصف كيلومتر . أما القرى الواقعة على هذا الوادى فهى :

١ — العطفة	٤ — مشرف
٢ — الخلصة	٥ — آل الزعابك
٣ — آل راشد	٦ — الشعبة

وكلها لآل راشد من شهران .

ونظراً لارتفاع أبها عن الخميس لا بد لك من اجتياز عقبات كثيرة فى طريقك

من الثانية إلى الأولى ، إذ ما تصل إلى الكيلومتر السابع بينهما حتى تصبح على ارتفاع ٨٢٠٠ قدم عن سطح البحر، وبعد كيلو متر واحد يصل الارتفاع إلى (٨٣٠٠) قدم وحينما تبلغ الكيلو متر الرابع عشر تكون على ارتفاع (٨٣٢٥) قدما ، ومن هذا المكان يشاهد السهل المنبسط المحيط بوادى حِجْلة على بعد ١٥ كيلو متراً و نصف من خميس مشيط .

بلدة « حِجْلة » قرية بنى مالك من « عسير » ، وهى كبيرة متسعة تقوم على أطرافها أبراج كثيرة يسميها أهلها « القصبات » وهى بالفعل قصبة محوّطة لها مدخل ضيّق ، يرقى إليها بسلّم من الحجارة البارزة من الجدار الأسطوانى الشكل . وتستعمل هذه القصبات مَرَاقِبَ للحراسة من هجوم الأعداء المباغت ، وللدفاع عن القرية وما يحيط بها من المزارع .

حينما أشرفت على «حِجْلة» شاهدت منظرا غريبا لم يكن لى سابق عهد بمثله . شاهدت البيوت والقصبات ذات رفارف خالتها لأول وهلة مصنوعة من الصفيح ، و إذا بى حينما اقتربت منها وأنعمت النظر فيها ، يتّضح لى أنها مصنوعة من الأردواز الحجرى ، ذلك أن طراز البناء فى عسير مختلف عنه فى بلاد شهران وسواها مما شاهدته من البلاد . فأساس البناء وجدره إلى ارتفاع حوالى متر عن سطح الأرض مبنيّة بالحجارة ، وما فوق ذلك مبنىّ بالطين أو اللّبن المجفف بحرارة الشمس ، وكلاهما قليل المقاومة لا يستطيع تحمّل التأثيرات الجوّية والأمطار الغزيرة . ولذلك عمد أهل هذه البلاد إلى طريقة يدفعون بها خطر الأمطار ويدرءون بها سقوط الجدران ، بأن أحاطوها من جميع أطرافها برفرف من الأردواز على أبعاد متفاوتة لا تزيد فى معظمها على متر واحد ، ولا تكاد تبلغ أحيانا نصف متر . وعلاوة على أن هذا الطراز يكسب البناء شكلا غريبا ، فإنه يدل على مبلغ استفادة القوم من الأسباب التى يملكونها لدرء الأخطار الطبيعية وحماية البيوت من الانهيار .

كانت « حِجْلة » من أعظم قرى « عسير » ، غير أنّها أصيبت بضربة قاصمة عام فتح عسير على يد الأمير عبد العزيز بن مساعد ، إذ هاجم الإخوان جماهير عسير المجتمعة

فى « حِجْلة » للدفاع عنها فأبادوها ، وكانت مقتلة عظيمة مازال أهل عسير يذكرونها ويندبون سوء حظهم فيها ، وقد كانوا ذوى شوكة وأنفة وعزّة طوال مدة الحرب العامة ، فأصابتهم هذه النكبة ، وأودت بمقاتلتهم ، وأضعفتهم كثيراً .

نجتاز شَعِيب « حِجْلة » عند الكيلومتر السادس عشر ، ثم شعيب المدفن بعد ذلك بكيلومتر واحد ، ثمّ نصل إلى هضبة بالقرب من قرية « الغليظ » حيث يكون الارتفاع (٨٤٠٠) قدم ، وحينما نصل إلى الكيلومتر الثالث والعشرين يبلغ الارتفاع (٨٦٠٠) قدم .

نقطع وادى « جوحان » عند الكيلومتر السادس والعشرين ، وبعد مسير ثلاثة كيلومترات نقترب من قرية « الشرف » ، ويستمر التصعيد حتى نبلغ الكيلومتر الثلاثين ، فيصبح الارتفاع (٨٧٠٠) قدم ، ثمّ بعد قليل يزيد الارتفاع خمسين قدما أخرى .

وحينما نصل إلى الكيلومتر الواحد والثلاثين نكون قد بلغنا وادى « مشيع » الذى يمر بقرية « مشيع » التى تحسب من قرى « أبها » نفسها ، وبعد قليل نصل إلى أعلى ارتفاع بلغناه حتى الآن وهو (٨٩٠٠) قدم ، ومن هذا المكان نشاهد مدينة « أبها » والقلاع المحيطة بها فى أعالى الجبال ، ويظهر لنا قصر « شذا » الذى بناه محمد بن عائض ، ويظهر لنا إلى الغرب من قصر شذا قصر حديث البناء يختلف بطراز بنائه عن « شذا » حيث أنه يشبه قصور بلاد شهران ، بناه عبد الوهاب أبو مِلْحة على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية ، وقد علمت أنه كان على طراز حديث ، فجعل البناء الجديد على طراز بلاد شهران .

الفصل الثانى

قبيلة عسير

نسب عسير — أقسامها — نسب آل عائض — القبائل التابعة لعسير
قبيلة ربيعة اليمن — عادات غريبة فى قبيلة ربيعة

١ — نسب « عسير »

تضم قبيلة عسير المعاصرة مجموعة من القبائل المختلفة الأصول البعيدة الأنساب ، غير أن « عسير » الأصلية مختلف فى نسبها أنزارى هو أم يمانى . ذكر الهمدانى : « عسير يمانية تنزّرت ودخلت فى عنز »[١] .

و إرجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان عظيم ، نظراً للاختلاط الذى حصل — خلال الحقب المتطاولة والقرون المتداولة — فى أنساب القبائل وهجراتها ومحالفاتها ، وما إلى ذلك من الأسباب الداعية لضياع النسب الأصلى أو اختلاطه .

وقبيلة عسير المعاصرة حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، وهى ترجع أنسابها إلى أسلم من الأزد سكان السراة .

ذكر السُّويدى أن « الأزد من أعظم الأحياء وأمدها فروعا ، وقد قسمها الجوهرى إلى ثلاثة أقسام : أحدها أزد شنوءة بإضافة أزد إلى شنوءة وهم بنو نصر ابن الأزد . والثانى أزد السراة بإضافة أزد إلى السراة وهو موضع بأطراف اليمن نزلته فرقة من الأزد فعرفوا به . والثالث أزد عمان بإضافة أزد إلى عمان وهى مدينة بالبحرين نزلها فرقة منهم فعرفوا بها[٢] » .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ .
(٢) سبائك الذهب ص ٢٣ .

وقبيلة عسير تضم أربعة بطون ، اثنان منها ينسبان إلى أسلم من الأزد و يلحقهما بعض فرق من شهران وقحطان ، والبطنان الآخران حلفاء للأولين ، والظاهر أن أصلهما يرجع إلى شهران أو قحطان .

أفادنى الشيخ على بن مشيبة أمير كافة « عسير » وهو من بنى مغيد ، أن القبيلة متحالفة منذ زمن قديم ، ولكن كثرتها من الأزد أزد السراة ، وفيها عناصر من شهران وقحطان ، وهذا طبيعى بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشىء عن الغلبة والسلطان .

لا أستطيع حصر عدد أفراد قبيلة « عسير » بأقسامها الأربعة غير أنى علمت أنه قد فرض على عسير من المجاهدين أربعمائة مقاتل فى الأوقات المعتادة ، ويمكن أن يطالبوا بمضاعفة هذا العدد فيقدمونه بكل ترحاب والواقع أن فرض عدد من المجاهدين لا يتبع قاعدة واحدة معينة ، وقد يترك أكثر الأحيان إلى تقدير القبيلة نفسها والعادة فى مثل هذه الأحوال أن تذكر القبيلة عدداً أقل من عددها الحقيقى بالتأكيد ، فينشأ عن ذلك رقم لا يدل على شىء يمكن الاعتماد عليه فى تقدير المقاتلة أو الرجال فى القبيلة غير أنى قمت بتحريات واسعة فعلمت أن فى إمكان القبيلة أن تخرج حين الضرورة القصوى ألفى مقاتل وعلى هذا الاعتبار يمكن تقدير العدد التقريبى للقبيلة ذكوراً و إناثا بحوالى ٣٥ — ٤٠ ألف نسمة

٢ — فروع قبيلة « عسير »

تقسم قبيلة عسير إلى أربعة بطون ، وهى :

(١) بنو مغيد (٣) ربيعة ورُفَيْدة .

(٢) عَلْكَم (٤) بنو مالك

ولكل بطن عزوة خاصة يتفاخرون بها فى الحرب فيقولون : « مغيد الخطى » ، « عَلْكَم الهول » ، « ربيعة ساكة الحرب » ، « بنو مالك أهل الصمت » .

والترتيب الذى ذكرناه فى تعداد أسماء هذه البطون يتبع مساكنها اعتباراً من الجنوب إلى الشمال . وفيما يلى فروع كل بطن من البطون الأربعة :

أولا : بطن بنى مغيد : وهم أكثر عسير عدداً فضلا عن أنهم رؤوس القبيلة أمراؤها منذ نحو مائة سنة ، أى منذ احتلال العثمانيين لها بقيادة « محمد على باشا » الى « مصر » . ويمكن تقسيم هذا البطن إلى أربعة أفخاذ[1] هى :

(١) فخذ آل ناجح ، وفيه أقسام كثيرة أهمها :

آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ومنهم آل عائض

آل تمام　　آل فلاح　　آل الحاج

(٢) فخذ آل عبد العزيز ، وفيه أقسام أهمها :

آل مفرح　　العـــرقة　　آل سكران

آل القبعى　　القـــدر　　آل بوسراح

آل مشيبة　　آل ضبعان　　آل ضحيّـة

(٣) فخذ آل وازع ، وفيه عدة عشائر أهمها :

آل ويمن　　آل بدلة　　آل العكاس

(٤) فخذ مغيد الوطى وفيه عدة عشائر أهمها :

الشرف　　بنو جعفرى　　أهل الشعف

٣ — نسب آل عائض

وبمناسبة ذكرنا لبنى مغيد نرى من الفائدة أن نذكر هنا نسب آل عائض من آل يزيد :

مؤسس الأسرة ومنشىء حكمها عائض بن مرعى من أهل رَيْدة من آل يزيد من بنى مغيد . وقد تسلم الحكم من على بن مُجثل كما سنذكره فى موضعه إن شاء الله .

(١) فى كتابى « قلب جزيرة العرب » جعلت هذه الأفخاذ سبعة ، ولكن تحرياتى لشخصية دلتنى على أن تقسيمى الحالى هو المعتمد . انظر ص ١٩٦

وخلّف عائض خمسة أولاد ، هم :

(١) محمد بن عائض ، وقد خلّف ثلاثة أولاد هم : على ، وعبد الله ، وعائض

(٢) عبد الرحمن بن عائض ، وقد خلّف ولداً اسمه محمد بن عبد الرحمن توفى فى الرياض منذ بضع سنين ، وله أربعة أولاد هم : حسن ، وناصر ، وعبد الله ، وعائض والأول من الأولاد فى « أبها » والثلاثة الآخرون فى الرياض .

(٣) سعيد بن عائض ، مات ولم يعقّب

(٤) سعد بن عائض ، مات ولم يعقّب

(٥) ناصر بن عائض ، خلّف أولاداً لم ينسب منهم إلا واحد اسمه « محمد » له ولد حىّ حين كتابة هذا الكتاب .

أما أولاد محمد بن عائض الثلاثة فإن أحدهم (عائض) مات ولم يعقّب .

وأما على فله ثلاثة أولاد ، هم :

(١) الحسن ، وهو آخر أمير من آل عائض ، يقيم حالياً فى الرياض .

(٢) عائض ، له ولد اسمه يحيى ، أما هو فقد مات

(٣) محمد ، مات ولم يعقّب .

وأما عبد الله بن محمد بن عائض فله ثلاثة أولاد ، هم :

(١) عائض ، مات بالرياض ، وله ولد .

(٢) سعيد ، مقيم فى أبها ، وليس له أولاد .

(٣) حسن ، مقيم فى أبها ، وليس له أولاد .

والأحياء من آل عائض حين كتابة هذه الأسطر هم :

ا — ستة أشخاص يقيمون فى أبها ، هذه أسماؤهم :

(١) سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض

(٢) حسن بن عبد الله بن محمد بن عائض .

(٣) حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عائض .

(٤) يحيى بن عائض بن على بن محمد بن عائض .
(٥) ولد محمد بن ناصر بن عائض .
(٦) ولد عائض بن عبد الله بن محمد بن عائض .

ب — أربعة أشخاص يقيمون فى الرياض هذه أسماؤهم :

(١) حسن بن على بن محمد بن عائض (أمير عسير السابق) .
(٢) ناصر بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .
(٣) عائض بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .
(٤) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

* * *

ثانياً : بطن عَلْكَم من عسير : أفادونى أن هذا البطن يتفرع إلى ستة أقسام هى :

(١) بنو مازن
(٢) أهل القصير
(٣) آل سعيدى
(٤) بنو المقرن
(٥) تلادة عبدل
(٦) أهل عضاضة بقرب الشعف .

ثالثاً : بطن ربيعة ورُفَيْدة : يتألف هذا البطن من قسمين لا أشك فى أنهما من العشائر المتحالفة ، ولست أدرى ما الصلة بين ربيعة ورفيدة وبين استعمال الاسمين كعلم لبطن واحد . إن اسم ربيعة فاش بين قبائل العرب ، وقد عددت خمسا منها تحمله وقد يكون هنالك غيرها . وكذلك رفيدة فإنه علم لعشيرة من قبيلة قحطان .

وعلى كل حال فإن هذا البطن ينقسم إلى فخذين :

ا — فخذ ربيعة ، وفيه أربع عشائر هى :

(١) تيهان
(٢) آل شدادى
(٣) بنى غنمى
(٤) آل عاصم

ب — فخذ رفيدة ، وفيه خمس عشائر هى :

(١) آل الحارث
(٢) التلادة
(٣) أهل طبب
(٤) أهل الغال
(٥) الرفقتين .

رابعاً : بطن بنى مالك : هذا الاسم فاش أيضاً ، فهنالك بنو مالك فى جبال تهامة بقرب العبادل وفَيْفا وبالحارث ، وهنالك بنومالك جماعة ابن فاضل بين زهران والطائف ، وهنالك هذه القبيلة من عسير ، وأما أقسامها فهى :

١ — آل الجمل ٥ — آل رميان
٢ — بنو رزام ٦ — بنو مُنَبِّه
٣ — بنو ربيعة ٧ — آل يعلى ، ومنهم أحمد بن مُعَدِّى أمير بنى مالك
٤ — آل الحِبْشى ٨ — النّلادة

٤ — القبائل التابعة لعسير

يساكن فروع قبيلة عسير ويخالطها طبقات من القبائل التى تحسب أدنى فى المستوى الاجتماعى وأقل اعتباراً من القبائل ذات الشوكة والسطوة ، وهى لا تنحصر فى بلاد عسير فحسب ، بل إن منها فروعاً فى بلاد شهران وقحطان ورجال الحِجْر . والظاهر أن ضرورة المجتمع البشرى وطبيعة العمران أوجبت إيجاد هذه الطبقات التى تكسب بعرق جبينها من أعمال دنيا فى نظر القبائل الأخرى برغم ضآلة الفروق الموجودة بينها وبين تلك القبائل من ناحية طرق المعيشة وقلة العناية بالكفاءة فى الزواج والنسب .

ولهذه القبائل درجات بعضها فوق بعض . فمنها ما هو — فى طراز معيشته — أقرب إلى القبائل ذات السطوة ، ومنها ما هو أقرب إلى الصناع والخدم والمستجدين ، ومنها ما هو كالفجر يكسبون قوتهم من الاستجداء أو المديح أو القيام ببعض الأعمال الحقيرة . وقد ذكر لى من هذه الطبقات ما يأتى :

١ — البلاحطة : وهم مثل الفجر مدّاحون مستجدون . ومنهم أفراد لهم مكانة لا بأس بها من حيث الكرم وحسن الضيافة والمقام بين الجيران ، ومنهم الشعراء المداحون ، لقيت أحدهم فى قرية الملاحة فأنشدنى كثيراً من الشعر النبطى عن وقائع عسير وأيام محمد بن عائض ، وبينها قصيدة فى مديحى ومديح الحكومة . وقد قابلنى

مرة أخرى بمكة فوجدته على عهدى به مدّاحاً قوّالا حسن العشرة سريع البديهة

٢ — الكحلة : طبقة أرقى من البلاحطة ، وهم فى نظامهم الاجتماعى يشبهون القبائل ذات النسب ، غير أنها لا تناسبهم ولا تتزوج منهم .

٣ — الهتمان : وهم فى عسير مثل « هتيم » فى الحجاز ، أى من طبقة القبائل المنحطة .

٤ — الدّواسر : أصلهم من الأرقّاء والصناع والخياطين . وهم — بالطبع — بخلاف الدواسر ذات العصبية والمكانة والمنعة فى وادى الدواسر ونجد ، فأولئك من أشرف طبقات العرب .

٥ — طبقة الصناع : من مُجَعِّب وخرّاز وحداد ومبيض وبرّام . وهم لا يتناسبون إلا فيما بينهم .

٦ — الفيوض : وهم العمال الذين يشتغلون فى حياكة النسيج اليدوى الخشن ، ومنهم طبقة أدنى من الجميع يسمونها : الخدمان ، أى الأجراء .

٥ — قبيلة ربيعة اليمن

جرى العرف فى سائر بلاد السراة وقحطان وشهران على أن يكون لكل قبيلة فى السراة أتباع فى تهامة . فقبيلة عسير يتبعها فى تهامة من القبائل العظيمة قبيلة رجال ألمع . ولكن بالنظر لأهمية هذه القبيلة أفردنا لها بحثا خاصا ، لا سيما لأنها من ناحية العدد والمدّة قد تقرب من قبيلة عسير إن لم تزد عليها ، ولا شك فى أن التبعية إنما هى فى السلطان السياسى أكثر منها فى الحالات والعادات الاجتماعية والنسب .

وقد ذكر لى كبار عسير أن فى تهامة أربعة أقسام تتبع القبيلة ، وتتبع بالأخص بنى مغيد أو عَلْكَم ، وتبعيتها لبنى مغيد أكثر ، وهى :

١ — المُضَيّبون . وهم قريبون جدا إلى بنى مغيد .

٢ — أم نفلة . ويتبعون علكم .

٣ — أهل وادى مَرَبَة . ويتبعون علكم و بنى مفيد .

٤ — ربيعة اليمن . وتحسب من ملحقات بنى مفيد ، وهى المقصودة ببحثنا الحالى نظرا لهمجيتها وغرابة عاداتها و بعدها عن سائر أسباب الحضارة والمدنية .

تقيم ربيعة اليمن فى وادى ضَلَع إلى الجنوب الغربى من « أبها » على بعد منها ، وتمتد منازلها حتى درب بنى شعبة فى أسفل الوادى بعد التقائه بوادى عِتْود التهامى .

ويبلغ عدد أفراد القبيلة نحو ألفى نسمة . وهى ما تزال على حالة البداوة فتسكن فى مغائر أو خشش بين الصخور ، أو أكواخ مشيدة من الحجارة المرضومة المغطّاة بالخصف أو بقطعة من قماش . وقد يكون للكوخ باب صغير جداً يدخل منه المرء حابيا على ركبتيه ، إذ لا أبواب ولا مزالج ولا أقفال ، وهى أكواخ نقّالة ، تنقل من مكان إلى آخر تبعا لحركات القبيلة بحثا عن المرعى . وتعيش القبيلة على تربية المواشى ، ولا تحسن الزراعة مطلقا .

ولربيعة اليمن خمسة فروع هى :

(١) آل زعبة (٣) الفراحنة (٥) آل وائلة

(٢) آل غراب (٤) البوّاح

٦ — عادات غريبة فى قبيلة ربيعة

سمعت من أخبار هذه القبيلة وعاداتها الغريبة شيئا كثيرا زاد معه شوقى إلى مشاهدة أفرادها من الجنسين ودرس طباعهم وأخلاقهم وتسقّط أخبارهم لتفكهة قرائى بها ، فاغتنمت فرصة الأسواق الأسبوعية فى « أبها » أيام الثلاثاء من كل أسبوع لمقابلة بعض من يحضر السوق منهم ، والتقاط صور بعضهم وسؤالهم عن أحوالهم ، فوفّقت إلى أشياء كثيرة أوضحها فيما يلى :

تعيش القبيلة حياة بدائية غاية فى الهمجية والوحشية . طعامها خشن ، ولباسها بسيط يتخذ للستر أكثر منه للتدفئة والزينة ، ومساكنها — كما ذكرت فى النبذة

السابقة — مساكن القرون الأولى وهى بحالتها الحاضرة بعيدة قرونا كثيرة عن حالة الحضر من أهل المدن الحجازية بَلْه غيرهم من سكان المدن الكبرى .

أما طعامها فنوع من « العريكة » أو « العصيدة » أو الخبز والسمن . ويندر استعمال القمح بين ربيعة ، وكذلك اللحم فإنه ترفه لا يتناولونه إلا فى الأعياد والمواسم أو فى حفلات الختان والولائم وما شابه ذلك . والخبز والعريكة يصنعان من الشعير أو الذرة أو الدخن ، ويعصد الدقيق بالماء على النار ثم يسكب فى مواعين خشبية غالبا ونحاسية حينا ، وتحفر وسط العصيدة المسكوبة فى الماعون حفرة صغيرة تملأ بالزبدة السائلة أو السمن السائح ، فيلتقم الإنسان قطعة من العريكة يغمسها فى السمن ثم يزدردها .

وأمّا لباسها فمئزر (فوطة) يحيط بالقسم الأدنى من الجسم ، ويربط حول الخاصرة بسبتة أو بخصفة أو بعقد طرفيه دون حاجة إلى حزام . وهو لباس الرجال والنساء . وتختص المرأة علاوة على ذلك بلباس يشبه الصديرية القصيرة تلبسه فوق القسم الأعلى من جسمها ، وأحياناً يكون هذا اللباس مئزراً آخر أو مسفعا يُلفّ — مثل رداء الإحرام — حول الكتفين أو إحداهما وحول الظهر والصدر ، وقد تكون الصديرية قصيرة لا تبلغ حدّ المئزر الأدنى ، فيبقى قسم من البطن والخاصرة مكشوفا لا يستره لباس .

وغطاء الرأس عند النساء قبّعة من الخوص يسمونها (طَفَشَة) وهى على نوعين :

(١) ذات كنار عريض ، ويختص بها أهل تهامة حيث الشمس محرقة جداً .

(٢) ذات كنار رفيع تتوسطها أسطوانة بارزة تجعلها أقرب فى شكلها إلى القبعات الأسبانية الأندلسية أو قبعات « السيلندر » لولا أن هذه من الحرير وتلك من الخوص .

أمّا الرجال فلا يغطّون رءوسهم بل يضفرون شعورهم أو يتركونها على طبيعتها منفوشة بصورة تلقى الذعر فى القلوب . وقد يربط الشعر بسبتة تمسكه منعاً لتحريك الرياح له ، وقد يكون الرباط من أزهار البُرْك أو الشيح أو غيرهما .

ويتقلّد الرجال خناجر طويلة تسمى « جنبيّة » . وهذه الجنابى مختلفة الأشكال بعضها طويل جداً يشبه السيف القصير ، وبعضها كالحربة المحدبة ، وبعضها كالخناجر الحجازية أو اليمانية ، وأكبر الخناجر هى التى يلبسها أفراد رجال ألمع .

ومن أرذل عادات ربيعة الاختلاط الجنسى بين الرجال والنساء من الأبكار والثيبات . وقد روى لى عن ذلك روايات أخشى أن يكون مبالغاً فيها كثيراً بسبب التهم الشنيعة التى يوجّهها بعضهم إلى هذه القبيلة وسواها من قبائل تهامة قبل قيام الحكم الحالى الذى قضى على هذه العادات الجاهلية وضرب على أيدى مرتكبيها بيد من حديد . وقد لاتتزوج البكر زواجاً شرعياً قبل أن تكون قد ولدت ولداً أو أكثر سفاحاً ، والظاهر أن كثيرين يرغبون فى زواج البنت ذات الرقم القياسى فى عدد أولاد السفاح . ويسمى ولد السفاح عندهم (ولد الهيجة) وفى لهجة أهل البلاد (ولد أمهيجة) والهيجة هى الغيضة أو الغابة ، أى الولد الذى ولد فى الهيجة وليس على فراش أهله . أمّا المتزوّجات فإنهن محصنات لا يعرفن الباطل ولا السفاح ، ومجرّد زواج البكر أو الثيّب يلقى عليها ستاراً كثيفاً من الحصانة والحرمة والقدسية . وقد روى لى أن رجلا غافل متزوّجة فى ليلة كانت فيها متعبة نائمة ، فلمّا عرفت بالأمر ظلّت تتعقبه مدّة إلى أن ظفرت به وقتلته رمياً بالرصاص دون أن تطالب بديته لأنها قتلته دفاعا عن العرض والشرف . ولا أشك فى راوى القصّة ، بل أعتبره شاهد عيان لأنه اشترك فى تسوية الحادث نظراً لمقامه عند القبيلة .

ومن أحسن عادات هذه القبيلة :

(١) إكرام الضيف .

(٢) الحشيدة لثلاثة والفزعة لهم : الخوىّ والضيف والرفيق إلى أن ينصرف من الديرة أو إلى أن يهضم طعامه .

(٣) المحافظة على أعراض المتزوجات .

(٤) حفظ جميل المحسن والإشادة بذكره .

غير أن أخبث وأفظع العادات الوحشية عند ربيعة اليمن عمليّة « الختان » ، وهى طريقة فظيعة تنبو عنها الأذواق وتمجّها الأنفس . والختان هو سلخ جلد العانة من أسفل السّرة إلى أواسط الفخذين بما فى ذلك الفرج ، ويكون إجراء العملية فى جمع حافل من رجال القبيلة ونسائها ، شيبها وشبّانها ، بناتها وأطفالها ، تتجلّى فيه سماجة الذوق والوحشية .

لم تكن عادة السلخ محصورة فى ربيعة اليمن ، بل كانت فاشية فى أكثر قبائل تهامة عسير ، ولكن الحكومة الحاضرة قضت عليها وشددت النكير على مرتكبيها فلم يبق من آثارها إلاّ القليل الزائل ممّا لا يتصل خبره بالحكومة .

وقد شرح لى بعض من شهد حفلة الختان عند ربيعة مراسم إجرائها ، فرأيت تدوينها فيما يلى :

عيد الختان من أعظم الأعياد والمواسم ، ونظراً للأخطار التى يتعرض لها المختتن فإن كثيرين يؤخرون ختانهم سنوات كثيرة قد تصل إلى العشرين أو أكثر ، ولا يجوز ختان من لم يكن بالغاً ، ويعيّن للشبان الطالبين موعد الختان ومكانه ، ويدعى إليه سائر القوم رجالاً ونساء ، وتنحر الأبقار والأغنام من ضأن وماعز بهذه المناسبة وذكر لى أنه حدثت وقائع ختان كان الأولاد يحضرون فيها ختان أبيهم مما يدل على أهمية الحادث والتخوف منه ، لأنه فى الحقيقة ضرب من الوحشية الخطرة التى تتطلّب الشىء العظيم من الشجاعة والجلد والصبر على الآلام ، وتفضى إلى الموت أحياناً كثيرة .

يقف الشاب الذى ينوى الاختتان فوق دكة مرتفعة فى محضر من النساء لاسيما الأبكار الراغبات فى الزواج ، ولا يكون على الشاب من الثياب ما يتستر به ، بل تكون عورته بارزة من غير حياء ولا خجل . إنها وقفة جبّارة تمثّل لنا عهد الأبطال الخرافيين أمثال « أبوللو » و « هرقل » ، يقف الشاب متكئاً بيده اليسرى على رمح قصير يتخذه عكازاً يستند إليه عند شدّة الألم ، ويحمل بيده اليمنى جنبيّة

كبيرة يسمّيها قوم ريمة « ذريعة » أو « معيرة » ، ويرفع الشاب رأسه منادياً معتزياً، بينما سكين الجرّاح تعمل فى جلده تقطعه شريحة إثر أخرى . هذا مقام يتبارى فيه الأشدّاء ، فمن اختلج أو صاح أو بكى أصابته سبة من العار إلى الأبد ، ومن اختلجت أطرافه أو ظهرت عليه علائم الخور والضعف ، فهو جبان رعديد لا كرامة له بين الناس ، وليس هو بالبطل الذى يستهوى قلب المرأة فتعتبر اتخاذه بعلا لها من دواعى فخرها . ومن شدّة إيغالهم فى اختبار جَلَد الشاب قد يذرون رملا ناعماً فوق رجله ، فإن ثبت الرمل عليها اعترف ببطولته ، وإن اهتزّ أو انتثر فذلك دليل الخوف والرعب والاختلاج من الألم ، والعار كل العار لمن كان هذا شأنه .

ولا يقف المسلوخ ساكنا ، بل عليه أن يعتزى إلى قومه إن كان أصيلا ، وتكون العزوة غالباً إلى أخواله . وكثير من أولاد السفاح يعتزون بأنهم أولاد « الهيجة » لا أولاد الهيجاء . وقد يطلب الشاب شريحة من جلده ليمسكها على ذكر قوم لهم عليه يد أو منّة . والبنات يقفن أمام المسلوخ يشجعنه ويثبّتن عزمه بينما عملية القطع والسلخ سائرة دون توقّف ، وقد يناديه بكلام مشجّع مغر إلى أن تنتهى العملية الجهنمية . وكثيراً ما يموت الشاب قبل إتمامها ، وطويل العمر من سلم منها ، ثمّ عليه أن يتحمّل أياماً أخر حتى تشفى جراحه . عجب أمر هذا الجنون فى الوحشية ، ولكنها التقاليد والخرافات والأوهام تتسلط على أفكار البسطاء والجهلة فتجعلهم يعيرون توافه الأمور أهمّية لاحدّ لها . ولم أستطع الغور إلى أصل أسباب عادة السلخ ، ولم أجد سبباً معقولا يفسّرها سوى استهداف تربية الشاب على تحمل المشاق والأهوال بدون تذمّر أو خوف أو وجل كما كان يجرى فى «أسبارطة» بموجب قوانين « ليكورغ » الأسبارطى ، وإلاّ فما معنى طلب المسلوخ لشرائح من جلده يباهى بها صارخاً معتزياً مفتخراً بأن هذه على شرف أعمامه ، وتلك على شرف أخواله ، وهاتيك على شرف من قدّم له يداً أو مساعدة ، وأخرى على شرف « الهيجة » ذات المقام الرفيع ؟!

بعد انتهاء عملية الختان أو بالأحرى عملية السلخ يصبح للشاب ملء الحرّية في العويل والصياح والتألم والنحيب بقدر ما يريد . ألم يحز لقب البطولة ؟ . ألم يتحمّل آلامه بكل ثبات وشجاعة ؟ ، إذن لا تثريب عليه ولا حرج بعد ذلك .

وفصل التداوى مأساة أخرى مؤلمة كفصل الختان ، والمسلوخ الذى يسلم من عمليّة السلخ قد يقع فريسة بين براثن جراحه المتعفّنة ، وكثيراً ما يطول أمد شفائه إلى سنة . وأما العلاج فبسيط جدّا : ملح الطعام يذرّ على الجراح للتطهير ، أو نوع من مسحوق الحجارة المخصوصة التى يمزج بها نوع من الأعشاب البرّية . هذا كل طبّ « ربيعة » فى معالجة جراح المسلوخ .

روى لى محدثى عن تعيير الشبان بعدم الصبر أثناء عمليّة الختان أنه كان قادماً من تهامة عام ١٣٤٩ هـ ، فوصل ديرة « ربيعة » فأُخبر أن عندهم اجتماعاً كبيراً للنظر فى قضيّة ناشئة عن تعيير أحدهم لشاب بسبب اختلاج رجله وقت ختانه ، فحقد على معيِّره وقام عليه فقتله انتقاماً منه على إشاعته الكاذبة ، وكان الاجتماع كمجلس قضائى عادل للحكم فى شأن هذا الشاب : هل اختلج أثناء العملية حقاً ؟ ، وكان سؤال رئيس الاجتماع للمحلفين : « هل اختلج أو لا ؟ » فإن كان قد اختلج فعلى القاتل الدّية وإن كان لم يختلج فلا تلزمه الدّية ، وكان قول المحلفين أن الشاب لم يختلج ، وكان الحكم النهائى أن القاتل غير ملزم بدية القتيل .

الفصل الثالث

عمران عسير

خصب التربة وغناها — الطرق والمواصلات — أبها وفلاعها — قرى عسير

١ — خصب التربة وغناها

القسم الهام من الأرض الزراعية فى عسير مؤلف من مجارى الشعبان والأودية ومن منخفضات الجبال والفجوات بين الهضاب . والأرض على الإجمال خصبة قوية الإنبات ، غير أنها محتاجة إلى المياه ، فإذا أمطرت السماء أخصبت الأرض وأنبتت محصولا عظيما . وقد شاهدت مدة إقامتى فى عسير أن المعول فى الزراعة على مياه الأمطار ، فإذا لم ينزل الغيث لم يتمكنوا من زرع الحبوب فى الأماكن التى لا تصل إليها مياه الآبار . وعلى فرض تمكن الأهالى من استثمار ما تسقيه المياه المستخرجة بالسوانى من الآبار الواقعة حول مجارى الأنهر ، فإن كميات المياه فى الآبار ذاتها تقل جداً ، بل إن كثيراً من هذه الآبار ينضب فى فصل الصيف . وقد كانت سنة زيارتى لأبها سنة قحط شديد قلت معه الحاصلات الزراعية وتلاشت الماشية ، حتى لقد كنا نشاهد قطعان الماشية سارحة فى البرية لا تستطيع اجتياز ممر السيارة دون أن يذهب بعضها ضحية الدهس ، بسبب هزالها وضعفها الناشىء عن قلة المرعى .

وكان من أثر ذلك أن احتاط أهل عسير وسائر بلادة السراة بخزن الحبوب فى آبار خاصة تحت الأرض لا تصلها الرطوبة ولا يتسرب إليها السوس ليقتاتوا بها فى السنوات ذات الإنتاج الضعيف . أما إذا جادت السماء بغيث كاف فإن الخيرات فى عسير تكون عظيمة جداً .

وأهم زراعة يعنى بها الأهلون القمح والشعير والذرة ، وقليل ماهم الذين يزرعون الدخن بخلاف أهل تهامة . ولا يهتمون بزراعة الفاكهة إلا قليلا فى جوار أبها حيث

توجد شجيرات من التين والرمان والتفاح والخوخ والعنب . غير أن أشجار الموز والبن تنمو جيداً فى الأقسام الغربية من جبال عسير ، ولكنها ليست من السعة وعظيم المحصول بحيث تكفى الأهلين احتياجاتهم . ومن غريب مالاحظت فى زراعة البن أنها لا تزهر إلا على ارتفاع معين من سطح البحر ، فإن تعدته لا تثمر ولا تعيش ، ولا تنبت كذلك إلا على السفوح الغربية لمرتفعات عسير واليمن ، أما المرتفعات الشرقية فلا تنمو فيها أبداً . والظاهر أن سبب ذلك جفاف جو السفوح الشرقية ، بينما جو السفوح الغربية رطب .

القمح والشعير هما المحصولان الرئيسان فى البلاد ، وعليهما المعول ، وما عداهما ثانوى فى نظر الأهلين ، لا يشكل قسما مذكوراً من غذائهم اليومى .

والعسل من المنتجات الهامة فى عسير ، إذ يتكاثر النحل فيها تكاثراً عجيباً ، ومنه أنواع يجنى منها عسل ناصع البياض بلون السكر النقى ، وقد حملت نموذجاً منه فى عودتى إلى الحجاز ، فعجب سائر الذين ذاقوه من منظره ونكهته . وهم يسمون العسل الأبيض : (مُجَرِّى) والأحمر : (شوكة) .

أما الحاصلات الحيوانية فهى الغنم والبقر والماعز . أما الإبل فلا توجد فى بلاد عسير نظراً لصعوبة الأرض ووعورتها من جهة ولضيق المراعى وشدة البرد من جهة أخرى . وجميع نتاج الحيوان يستهلك محلياً إلا فى سنوات الخصب فإنهم يصدرون السمن والغنم إلى الجهات المجاورة . ويمكن وصف هذه البلاد بأنها تكفى نفسها ولا تحتاج إلا إلى الأقمشة والأبازير ، أما الآلات فقليلة الاستعمال لاستغناء أهل البلاد بالمصنوعات المحلية عنها .

وتوجد فى عسير معادن أهمها الحديد الموجود فى جبل « تَهْلَل » بجوار السودة ، زاره المهندس المرافق لنا ، ويبعد عن أبها مسافة عشرين كيلو متراً إلى الغرب ويبعد عن قرية السودة حوالى أربعة كيلومترات ، وهو جبل مرتفع مكسو بالأشجار

الدائمة الخضرة ، ذو ينابيع جارية فى الصيف والشتاء ، يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (١١٠٠٠) قدم . أما السودة فارتفاعها (١١٤٢٠) قدماً . وقد شاهد المهندس آثار عشرات النقر لإذابة المعدن فيها ، وأحضر نماذج من الحجر الحديدى أرسلها للتحليل ، فظهرت جودة النوع والكمية ، غير أنه من الضرورى إجراء فحوص وتحاليل كثيرة قبل التثبت من فائدة المعدن من الوجهة الاقتصادية .

ولا شك فى وجود معـادن أخرى غير الحديد لاتزال على حالتها الأولى ، ولا يمكن استغلالها إلا بعد حفر واستكشاف وتحليل ، للوقوف على مدى فائدتها الاقتصادية

٢ — الطرق والمواصلات

مما يستدل به على رخاء البلاد : موقعها ، وخصب تربتها ، وسهولة مواصلاتها . ومع أن المواصلات فى «عسير» لاتزال بدائية إذا استثنينا طريق السيارات إلى بيشة ، فإن موقع عسير وخصب تربتها جعل منها مركزاً هاما بين اليمن والحجاز ونجد من جهة ، والسراة وتهامة من جهة أخرى .

والطرق الرئيسية المتفرعة من أبها مركز عسير ست ، هى :

أولا — طريق تهامة : وتبدأ من أبها متجهة إلى الجنوب الغربى مسافة ثلاثة كيلومترات ، ثم تنزل من عقبة ضلَع إلى القصبة ، ثم إلى درب بنى شعبة فصبيا فجيزان .

ثانياً — طريق عقبة الصماء : إلى الغرب من أبها ، وتنزل إلى بلاد رجال ألمع ومنها إلى تهامة ، وبالأخص قوز الجعافرة وجيزان .

ثالثاً — طريق عقبة شعار : وهى الصلة بين عسير والقنفذة والحجاز بطريق تهامة ، وهى من أعظم الطرق وأهمها من الوجهتين الاقتصادية والعسكرية . وكان من أهميتها أن جعلت القنفذة مركزاً بحرياً لتموين عسير ومركزاً للحكومة وقواتها

العسكرية بطريق بارق ومحائل ، وهى الطريق التى كانت تخترقها الجيوش العثمانية . ولذلك فإن « محيي الدين باشا » آخر متصرفى الأتراك فى عسير قد مهد هذه الطريق من أعلى عقبة شعار إلى أبها لسير المركبات والمدافع ، ولكن العقبة نفسها حاجز عظيم فى سبيل المواصلات ، وكذلك يقال عن الطريق من أسفل العقبة إلى بارق ومحائل . وقد بلغنى أنه كان فى نية محى الدين باشا إكمال تمهيد الطريق إلى القنفذة ، غير أن احتلال الأشراف والإدريسى لتهامة والقنفذة حال دون تنفيذ عزمه . وتبعد شعار عن أبها مسافة ٢٨ كيلومترا .

رابعا — طريق الحجاز : عن كتف السراة مارة بقرب عقبة شعار ومتجهة إلى بلاد بالأحمر و بالأسمر و بنى عمر حتى بلاد بنى شهر فعامد فزهران إلى الطائف . وهى طريق للمشاة ، وخاصة أهل الجبال ممن لايطيقون حر تهامة فى الصيف .

خامسا — طريق شهران : وهى التى سلكتها فى قدومى من خميس مشيط إلى أبها ، وهى صالحة لسير السيارات ، مهّدها محيي الدين باشا أيام الحرب العامة ، و يبلغ طولها من أبها إلى الخميس ٣٥ كيلو متراً كما سبق بيانه .

سادسا — طريق اليمن : تسير من بلاد عسير فى اتجاهين : أحدهما عن طريق شهران ثم تنحاز إلى الجنوب حيث تدخل بلاد قحطان ، والآخر من عسير رأساً إلى تمنية ومنها إلى ديار قحطان ووداعة ظهران إلى صعدة ، وهذه الطريق أصعب الطرق وأكثرها وعورة .

وقد اكتشف الجيش بقيادة ولى العهد طريقا لسير السيارات من أبها إلى خميس مشيط فطريب فوادى تثليث فوادى حبونة حتى نجران ، كما اكتشف طريقا أخرى إلى ظهران كانت شديدة الوعورة بحيث إن السيارات اجتازتها بكل عناء .

والمواصلات التليفونية والتلغرافية مفقودة فى عسير ، لكن فيها مركزا لاسلكيا هاما يصل بين عسير وسائر أنحاء المملكة العربية السعودية .

٣ — مدينة أبها

حينما اجتزنا وادى « مشيع » ورقينا الهضبة التى تفصل بينه و بين الحزوم التى قامت عليها مدينة « أبها » ، رأينا منظرا جميلا لمجموعة من القرى أو الحلل المنتشرة على ضفاف الوادى المتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى والمشهور بوادى « خبيبى » أو وادى « أبها » . وتمثلت لنا المدينة الشهيرة فى التاريخ الحديث بوقائعها الحربية وحصارها الطويل عام ١٩١٠ وحصارها الأخير طوال مدة الحرب العامة ، وأوحت إلينا — فى الوقت نفسه — بشعور منبعث من القلب ممزوج بنفحة من الأسى والحزن على ما أصابها من تخريب وتدمير خلال النكبات التى حلّت بها ، ولمسنا الشاهد على ذلك فيما رأيناه من أطلال القلاع والأبراج المحيطة بها فى أعالى رءوس الجبال المحيطة بأبها ووادياها إحاطة السوار بالمعصم .

« أبها » ، قاعدة عسير ، كانت مركزاً لحكم آل عائض وللإدارة العثمانية إلى حين زوالها . وهى مقرّ إمارة السراة فى عهد حكومة الملك عبد العزيز آل سعود وهى فضلاً عن ذلك سوق عسير الشهيرة التى تعقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع فى ساحة متوسطة بين مجموعة القرى التى تتألف منها المدينة .

كان اسم أبها فى القديم « مناظر » ، ومناظر الآن حلّة من أحياء المدينة ، وقد تكون مناظر أصل البلدة القديمة ثم توسعت حدودها واستطالت رقعتها حتى شملت قرى أخرى لم تكن منها .

تتألف أبها فى وقتنا الحاضر من عدة قرى ممتدة على أطراف وادى أبها من أعلاه فى جهة الجنوب الغربى إلى مصبّه فى جهة الشمال الشرقى . وهذه أسماء القرى والأحياء اعتباراً من المنبع إلى المصب .

وقد أغفلنا قرية اسمها « العتربان » لأنها لاتحسب من أبها بالذات :

(١) المفتاحة ، فى علوّ الوادى إلى جهة الشرق منه .

(٢) القرى .

(٣) نعمان .

(٤) الربوع وهى حلّة كانت فيها سوق تعقد يوم الأربعاء فسميت بها .

(٥) شذا ، وفيها القصر الذى بناه محمد بن عائض حينما نقل مركز حكمه من رىدة إلى أبها ، وليس فيها — فى الواقع — سوى قصر ابن عائض وقصر الحكومة الذى بنى على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية ، ومركز اللاسلكى .

(٦) مناظر ، وهى أصل المدينة كما أسلفنا .

(٧) البديع .

(٨) الخشع .

(٩) النصب .

(١٠) مقابل ، وهى القرية الوحيدة القائمة على الجانب الغربى للوادى . وقد كان فيها مسكن متصرف عسير سليمان شفيق باشا ثم محيى الدين باشا ، وكان يصلها بأبها جسر حديث قد تهدّم الآن وهُجر .

كانت أبها مدينة زاهية زاهرة بسبب كونها مركزاً للحكم العثمانى فى السراة ومقرّا للفرقة العسكرية ، ولكنها منيت بنكبات كثيرة ألحقت بها أفدح الضرر وأخرتها إلى الوراء سنين طويلة .

أما النكبة الأولى فقد أصابتها عام ١٩١٠ م — ١٣٢٨ هـ . حينما ثار السيد محمد على الإدريسى حاكم تهامة على حكم الدولة العثمانية وأنفذ ابن عمه السيد مصطفى الغربى الإدريسى لحصارها ، فشدد عليها الحصار حوالى ثمانية أشهر ، إلى أن وصلت النجدات من الحجاز بقيادة الشريف حسين أمير مكة لذلك العهد ، فإنه وصل إليها فى أواسط رجب ١٣٢٩ هـ

وكانت قوات الإدريسى محاصرة لها منذ ذى القعدة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . ومع أن الحصار دام طويلاً ، فقد اقتصر الأمر على الغلاء ، نتيجة فقد المواد الغذائية دون أن يلحق بالمدينة تدمير أو تخريب .

والنكبة الثانية أصابتها أيام الحرب الكبرى حين ظل محي الدين باشا متصرفا لعسير بعد انتقاض الشريف حسين على الأتراك وانقطاع المواصلات بين عسير والبلاد العثمانية ، فعمل محي الدين جهده لتخفيف ويلات الحرب والحصار المضروب عليه ، فعامل الناس بالحسنى وقرّب القلوب إليه ، فانضوى جميع أهل عسير تحت لوائه ، وكانوا عدّته فى الشدائد والأهوال التى مرّت به ، وقد أجرى لهم طائفة من الإصلاحات العمرانية وبنى فى البلاد فلاعا وأبراجاً كثيرة لتشغيل اليد العاملة ، غير أن نطاق الأعمال كان ضيقا ، والغلاء كان فاحشا .

والنكبة الثالثة وقعت عقب الحرب العامة وزوال الحكم العثمانى من البلاد ، حين هاجمها الأمير عبد العزيز بن مساعد بجند من متعصّبة الإخوان أيام كان الإخوان إبان اشتداد غلوائهم ، ففعلوا فى أبها الأفاعيل ، وخربوا كثيراً من معالم العمران . حتى لقد هدموا الأسبلة التى يستقى منها الناس بحجة أنها قباب . وهدموا بعض البيوت بدعوى أنها بيوت أخصامهم وهم فى حاجة إلى الحطب فاستعملوا خشبها وقوداً ، وكسروا آلات الخياطة لأنها من أعمال السحر ، وحطّموا المرايا الكبيرة لأنهم لم يعرفوها . وقد روى لى بعضهم فى هذا الشأن قصة طريفة ، وذلك أن والد مترك بن شفلوط من كبار قحطان دخل بيتاً كبيراً فتخيل أمامه رجلا يعترض طريقه ، فانتهره ، فأجابه ذلك بالمثل ، فرفع يده بسيفه ، فقابله بمثل حركته ، فما كان منه إلا أن أسرع الخطى نحو مبارزه ، وبادره بضربة تردد صداها فى سائر البيت ، واجتمع الناس على صوت مرآة تتحطم من ضربة سيف ابن شفلوط الذى تخيل خياله المنعكس فى المرآة عدوّا مبارزا .

والنكبة الرابعة والأخيرة وقعت عقب غزو الأمير فيصل نجل الملك عبد العزيز لأجل إنقاذ فهد العقيلى من الحصار . فقد ترك أبها بعد أن أمّر عليها رجلاً اسمه ابن عفيصان ، ثار عليه الحسن بن على بن عائض ، وحاصره فى قصر شذا مدة طويلة إلى أن وصلت النجدات من نجد وفكت الحصار عنه ، فما كان منه بعد فك الحصار إلاّ أن أدّب المجرمين وهدم منازلهم ، وكذلك فعل بالثكنات والقلاع

والأبراج المحيطة بأبها . وكانت هـذه النكبة ثالثة الأثافى التى أتت على كل آثار الحكم العثمانى فى البلاد .

و بعد هذه النكبات المتوالية بدأت أبها بالانتعاش مرة أخرى . وقد ساعد على إنعاشها استتباب الأمن واستقرار الحكم من حين اتخاذها قاعدة لجميع الأعمال العسكرية فى تهامة واليمن . وكانت الجيوش تذهب وتجىء إليها وتترك فيها من النقود ما استعاد به أهلها ثراءهم و بعض ما فقدوه فى الفتن السابقة . حتى إن تعداد أبها قد بلغ إبّان اتخاذها قاعدة للأعمال العسكرية حوالى خمسة عشر ألفا عدا الجند والموظفين ، ولـكنه الآن لا يزيد على ثمانية آلاف .

قلنا إنّ أبها بليت بنـكبات كانت أولاها فى حصار الأدارسة لها عام ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م . وقد فطن الأتراك بعد ذلك إلى أن سبب ما أصاب سليمان شفيق كمالى باشا اعتماده فى الدفاع عنها على مواقع قريبة فيها ، بينما كان فى الإمكان تحصينها تحصينا قويا يساعد عليه موقعها الطبيعى والجبال و الهضاب المرتفعة المحيطة بها من كل جانب ، فشمّروا بعدئذ عن ساعد الجد ، و بنوا حولها سلسلة من القلاع على رءوس الجبال وصلوا بينها بأبراج للمراقبة والحصار الأولى ، فأصبحت من أحصن المدن . وكان من نتيجة ذلك أن ثبت فيها الأتراك مدافعين بل مهددين للإدريسى وللشريف طوال سنى الحرب .

والقلاع الرئيسية التى تحفظ أبها ثلاث :

(١) قلعة ضَلَع : وهى حاكمة على وادى ضلع ومدينة أبها ، بحيث لا تستطيع أية قوة أن تصعد من تهامة دون أن تتعرض لمدافع ورشاشات و بنادق المدافعين فى تلك القلعة .

(٢) قلعة ذِرَة : وهو جبل مرتفع يكاد يكون منفرداً عما سواه ، و يرى من أماكن بعيدة جداً . (ذكر لى المهندس أنه رآه من السودة على بعد ٢٠ كيلومترا) ، وهو إلى الشمال الشرقى من قلعة ضَلَع . وقد بنيت فوقه قلعة كبيرة تحتها أبنية محفورة

فى بطن الجبل . وقد استفادت الحكومة الحالية من هذه القلعة ، واتخذتها أول أمرها مركزاً للاسلكى .

(٣) قلعة شميسان : إلى الشمال من أبها ، تحرس الطريق العام القادم من عقبة شمار ومن عقبة الصماء .

وتوجد بين القلاع سلسلة من المخافر القوية المقامة على رءوس التلال لحراسة الطرق الموصلة إلى أبها وللدفاع عن القلاع أيضا . ويوجد بين ضَلَع وذرة جبل مرتفع اسمه « أبو خيال » بنى فوقه مخفر حصين لحراسة طريق القلعتين .

وقد وصل محى الدين باشا بين أبها والقلاع بطرق متعرجة فى أعلى الجبال وجعلها مزدوجة للذهاب والإياب ، وسيّر عليها المدافع والمركبات . وعلى الإجمال فإن أعظم عمل قامت به الحكومة العثمانية للدفاع عن أبها ، إنما قام به محيي الدين باشا الذى يذكره كثيرون إلى الآن .

ويستقى أهل أبها من الآبار المحفورة فى الوادى ، ماؤها عذب لذيذ ، وهواؤها نقى عليل . غير أنى لاحظت ثقل الجو نوعا فى أبها ، فإن الغريب يشعر بالتعب من أقل نشاط يبديه فيها ، وإذا رقى درجاً أو هضبة صغيرة أدركه التعب الشديد الذى يمكن تسميته (التفحيم) أى ضيق النفس واللهثة واشتداد ضربات القلب .

وأبها ، سوق عسير الدائمة ، وتعقد فيها سوق أسبوعية يجتمع فيها أهل القرى للبيع والشراء ، وأكثر من يفد إليها النساء وطالبوا الزواج . وسنذكر فى الفصل التالى طرفا من عادات أهل أبها الاجتماعية .

٤ — قرى « عسير »

يكاد يكون كل بطن من بطون عسير الأربعة مستقلا فى قراه وبلاده عن البطون الأخرى ، الأمر الذى يدلّ على تفاوت أصولهم . ومن القرى مالها شهرة خاصة بسبب اتخاذها مركزاً حكومياً فى وقت من الأوقات . مثال ذلك « طبب »

التى كانت مركزاً لحكم ربيعة ورفيدة (أى بلاد أبو نقطة) ، و « الشقا » التى كانت مركزاً لحكم آل يزيد ، و « ريدة » التى كانت مركزاً لحكم عائض بن مرعى ثم انتقل ابنه إلى أبها و بنى « شذا » فكانت مركزه ، غير أن رديف باشا ومختار باشا أسرا محمد بن عائض فى ريدة . و « حرملة » هى بلدة آل عائض أيضاً و هى التى هدمها الأمير فيصل بعد استيلائه على أبها بسبب فرار صاحبها الأمير حسن بن على بن محمد ابن عائض . من أجل ذلك ، رأيت أن أذكر فيما يلى قرى كل بطن من عسير على حدتها :

أولاً : قرى بنى مالك من عسير :

ا — قرى ربيعة :

(١) حجلة .
(٢) الغليض .
(٣) لعصان .
(٤) آل جرجر .
(٥) آل بالنعمان .
(٦) عددان .

ب — قرى بنى منبه :

(١) العطف .
(٢) سبل ، وهى قرية لأمير بن مُعَدِّى شيخ بنى مالك .
(٣) المجزعة .
(٤) الجنفور .

حـ — قرى آل يعلى :

(١) العين .
(٢) المحالة العليا والسفلى .
(٣) الجعجاعة .
(٤) اللصبة .

ء — قرى آل رميان :

(١) شوحط .
(٢) منادر العين .
(٣) آل سفور .
(٤) القعوة .

obeikandl.com

هـ — قرى التلادة :

(١) آل الشلفا .
(٢) آل جاهل .
(٣) مسلت .
(٤) صعبان .

و — قرى بنى رزام :

(١) سوق السبت .
(٢) القرايات .
(٣) الشعب .
(٤) المجاردة .
(٥) الملاحة .
(٦) الفَيَّة .

ز — قرى آل مجمل :

(١) صعرور .
(٢) حياد .
(٣) الأفلاج ، وهى آخر وادى الملاحة قبل التقائه بأتانة .
(٤) العطفات .

ح — قرى آل الحبْشى :

(١) الخارجة .
(٢) العطفة .
(٣) آل أبى شوحطة .
(٤) قرين .
(٥) الفرسة .

ويبلغ عدد سكان هذه القرى نحو ١٥ ألف نسمة .

ثانياً : قرى بنى مغيد من عسير :

بنو مغيد مختلطون لم أتمكن من تمييز قراهم بحسب فروع البطن :

(١) هضبة بنى جِرّى .
(٢) آل منسم .
(٣) العمارات .
(٤) الحصن الأسفل .
(٥) الحصن الأعلى .
(٦) آل أبا الفلاح .
(٧) جوحان .
(٨) قاعد .
(٩) العرين .
(١٠) مشيع .
(١١) العزيزة وهى قريتان الحولة والسحيا .
(١٢) النصب .
(١٣) مدينة أبها وقد وردت تفاصيل قراها

(١٤) العثربان .
(١٥) العلاية .
(١٦) السحرة .
(١٧) آل زِبْدى .
(١٨) آل عكاش .
(١٩) آل الحاج .
(٢٠) آل العلا .
(٢١) آل الزنوة .
(٢٢) الشبارقة .
(٢٣) الهيلة .
(٢٤) القوزة .
(٢٥) آل مفرّح .
(٢٦) آل سكران
(٢٧) السقا وهى أربع قرى ، القرن والقعوة وآل تمام وآل فلاح
(٢٨) سعف آل دين .
(٢٩) اليزيدين .
(٣٠) سعف آل يزيد .
(٣١) آل القبيهى .
(٣٢) حرملة .
(٣٣) ريدة .
(٣٤) الضفعان .
(٣٥) ذا القيمى .
(٣٦) ليثوى .
(٣٧) حَبُو .
(٣٨) مسقام .
(٣٩) عَتْمة .

ثالثاً : قرى ربيعة ورُفَيْدَة :

ا — قرى ربيعة :

(١) المسقوى .
(٢) مصاولى .
(٣) تيهان .
(٤) النجمة .
(٥) الزهر .
(٦) الجو .
(٧) زينة .
(٨) الزهرة .
(٩) الرمدة .
(١٠) أم رهوة .
(١١) الدغل .

ب — قرى رفيدة :

(١) آل سعلى .
(٢) آل محمود .
(٣) شرمنى .
(٤) آل مجمل .
(٥) المسخية .
(٦) العطف .
(٧) طبب .
(٨) الطلحة .

obeikandl.com

(٩) الفال .
(١٠) آل العدامى .
(١١) آل بجاد .
(١٢) آل القلفة .

حـ — ولربيعة ورفيدة فى تهامة :

(١) بعرور .
(٢) ناهية .
(٣) العقبة .
(٤) آل الذيب .
(٥) آل الحنيش .
(٦) آل السحر .
(٧) آل جحيش .
(٨) آل فضيلة .

رابعاً : قرى عَلْكَم من عسير :

(١) وادى البييح .
(٢) العين .
(٣) آل طرفة .
(٤) المغمر .
(٥) العطف .
(٦) غاوة .
(٧) المصنعة .
(٨) قرخة .
(٩) النجاد .
(١٠) القصير .
(١١) الوادى الطالع .
(١٢) أمّ شينة .
(١٣) السُّودة .
(١٤) السوق .
(١٥) الحصان .
(١٦) الذيبة .
(١٧) المخض .
(١٨) الباطنة .
(١٩) اليمانية .
(٢٠) آل يوسف .
(٢١) عضاضة .

ولعَلْكَم فى تهامة أربع قرى :

(١) آل النجيم .
(٢) لولاه .
(٣) خيمة .
(٤) حسوة .

ويرى ممّا ذكر أن بنى مفيد أكثر قرى وأعظم عدداً ، ولهم « أبها » مركز المقاطعة ، ولذا فإن رياسة كافة عسير منهم .

الفصل الرابع

العادات الاجتماعية فى عسير

الزى — الطعام — اللهجة — مراسيم الزواج — الخرافات

١ — الزى

أول ما يلفت نظر الباحث فى الشئون الاجتماعية لقطر من الأقطار ، أزياء الأهلين ، وطبائعهم من حيث الرقة والجفاء ، وما إلى ذلك . أما فى عسير فمن حيث أزياء الرجال فإنها لا تختلف كثيراً عن أزياء بلاد شهران التى وصفناها فى القسم الأول . ومن حيث الطباع فإن أهل عسير رجالا ونساء يختلفون عن شهران ببعض المميزات التى قد تكون أثراً من آثار البيئة والإقليم ، فهم أرق طباعاً وأقرب إلى الاختلاط الأجنبى من أهل شهران ، وربما كان هذا ناشئاً عن جو بلادهم وكونهم اختلطوا بالغرباء أكثر من سواهم ، ويظهر أن اتخاذ أبها قاعدة لإدارة عسير وشهران هو الذى جعل أهلها أقرب إلى اقتباس عادات غيرهم وأقل تعصباً وجفاء من سواهم .

هذا ويمكن تقسيم عسير من حيث العادات الاجتماعية إلى قسمين : الأول ، أهل عسير الذين يقطنون الربى وسفوح الجبال الشرقية حتى بلاد شهران وقحطان . والثانى ، أهل عسير الذين يقطنون الربى والسفوح الغربية أى فى منقلب الجبال إلى جهة تهامة ، حتى إن الأهالى أنفسهم يسمون سكان هذا القسم « أهل تهامة » تمييزاً لهم عن الآخرين . فالقسم الأول أقرب إلى شهران وقحطان فى عاداته منه إلى أهل عسير المقيمين فى تهامة ، يظهر ذلك فى زيهم ولهجتهم وأحاديثهم بل فى طباعهم .

والعسيرى التهامى أقرب إلى رجال ألمع منه إلى بنى قومه ، لباسه سهل بسيط لا يشبه لباس ربيعة اليمن ولا لباس أهل أبها بل هو وسط بينهما . والنساء يلبسن فوق أثوابهن رداء كالفرو مصنوعاً من الجلود المدبوغة تربط أطرافه العليا حول العنق وتدلى بقيته على الظهر إلى مافوق الكاهل . وهذا الرداء على نوعين :

الأول : « المَزَرّ » أو « المزار » ، وهو عبارة عن مجموعة من جلود الحملان تدبغ ويخرز بعضها ببعض بسبت ذى لون يختلف عن لون الجلد ، ويحيط بهذه المجموعة (كنار) من لون السبت ، وغالباً ما يكون أحمر . وطريقة لبسه أن يكون مقلوباً ، فالشعر من الباطن والجلد من الظاهر ، ليكون الجلد وقاء من المطر لايخترقه الماء كالمشمّع ، وليكون الشعر وجاء من البرد فى الشتاء

والثانى : « النطع » أو « المقصر » وهو عبارة عن ثلث المجموعة الأولى من الجلود المدبوغة اللينة الكثة الشعر ، وهو أقل عرضاً من الأول لا يستر إلا بعض الظهر .

أما غطاء الرأس فإن نساء تهامة يستعملن (الطَفَشَة) وهى قبعة من الخوص عريضة (الكنار) غير بارزة الوسط . وأما نساء الجبال فإنهن يستعملن الخمار يضعنه على رءوسهن ، وتلبس الأبكار نوعاً من القبعات المصنوعة من القماش على شكل مثلث مفتوح القاعدة كى تدخل فى الرأس وتستقر عليه ، وقد يوضع خمار أو نقاب فوق هذه القبعة .

وقد جمعت معلومات وافية عن الملابس وأدوات الزينة التى يستعملها الرجال والنساء أذكر بعضها فيما يلى :

١ — (النّسْعة) ، وهى حبل من الجلد المجدول كالضفيرة ، تستعملها النساء كالحزام ، تنتهى عند أحد طرفيها كتلة من أطراف شرائح الجلد بينها ملقط صغير لالتقاط الشوك ومنكاش ومرود ، وهى أعم بين البادية .

٢ — (السبتة) ، وهى حزام من الجلد المنقوش المخروز ، تنقطق بها النساء فوق أثوابهن ، وهى كالنسعة إلا أنها أقصر وأسمك ، وهى أعم بين الحاضرة .

٣ — (المكفة) ، وهى قطعة من الجلد مصنوعة على شكل إكليل تضعه النساء على رءوسهن لمسك الشعر أو لتثبيت الخمار فوق الرأس .

٤ — (إكليل) محبوك من الخصف والأعشاب البرية العطرية مثل الشيح والبُرْك والريحان والوزاب ، وظيفته إمساك الشعر عن أن تلعب به الريح . وللرجال إكليل خاص يختلف عن أكليل النساء فى الشكل ، يستعمله — على الأخص — رجال تهامة الذين يطلقون شعورهم كالنساء ولا يلبسون فوق الرأس شيئاً سواه .

٥ — (الشملة) ، وهى عباءة من صوف الغنم قصيرة جداً ، تطرح على الكتفين ، ولكنها صلبة لاتتهدل عليهما ، وهى لباس الأغنياء والأعيان ، تقوم أيام الشتاء مقام (المقمر) والنطع عند البادية .

٢ — الطعام

البرّ والسمن ، هما الطعام الوطنى الرئيسى فى عسير وقحطان وشهران ، فلا يعلو عليهما طعام . أليس البرّ من أهم منتجات عسير الزراعية ؟ أليس السمن من نتاج أغنام عسير وأبقارها ؟ البرّ والسمن : تاج المحصولات وعماد الطعام وقوام المعيشة . أمّا ماعدا ذلك فثانوى أو كمالى . فاللحم مقامه فى الأعياد والمواسم والضيافات القليلة المحدودة ، والفاكهة والخضر وجودها مثل عدمها ، والحمد لله على كل حال . وطريقة صنع الطعام بدائية هيّنة ليّنة لا دخل فيها لفنّ الطهو . اللحم مسلوق وكفى ، والبرّ للخبز والعريكة ، والسمن يسقى به الاثنان .

وصفنا فيما مضى طعام العريكة وهو أعم الأطعمة وأعظمها شأنا . يعصد الدقيق فوق النار بالماء الساخن حتى ينضج ، ثمّ يصبّ فى قصعة أو جفنة مثعنجرة أو غير مثعنجرة ، والحفرة فى وسطها تستوعب كميّة من السمن السائح . وإليكم أيها الضيوف

ما عندنا من الطعام الحلال . كلوا هنيئاً ، واشربوا الماء القراح أو اللبن الحامض مخيضا أو رائبا .

أرسلنا فى مشترى الحليب فقيل لنا : « عار أن يبيع الأهالى الحليب » عار وأى عار ! إذن لابد من غنيمات أو أبقار نستدر لبنها . يحيا عصر الرعاة ، وتحيا الصراحة والحرية .

ويصنع من دقيق القمح عدا العريكة نوع من الخبز السمج يشوى على النار فى الطابون أو فى إناء ، ثم يصب عليه السمن والعسل . وهـذا القرص من أشهى المآكل وألذّها .

أمّا اللحم فهاكه سليقاً ناضجاً مقطّعاً إربا إربا متناسبة بقدر الأقّة أو دونها ، وهاك المرق فى قصعة ، وهاك قطع اللحم منثورة على مائدة تبسط على الأرض من جلود الغنم المجفّفة بالشمس . قصعة المرق تتوسط الدائرة ، تحيط بها أرغفة الخبز الساخن ، تتخللها قطع اللحم ، وقد تحتل قصعة العريكة مكان قصعة المرق ، وهى سيدة الطعام ، كلوا واشربوا هنيئاً مريئاً . أمّا قطع اللحم الممتازة كالكتف والفتيلة وسواها من أطايب اللحم فإن المضيف يوزّعها بنفسه على الضيوف بادئاً بالأول قائلا : « الزم » فيتناولها الضيف قائلا : « تسلم » إلى أن يدير قطع اللحم على الحاضرين ، وإن بقى شىء منها بعد ذلك يوزع على من لم يحضر الدعوة من الأهل : هاكم الرأس وهاكم الكوارع وهاكم الأضلاع وهاكم الدهن وهاكم المطط . لكلٍّ قسم بحسب مقامه فى الهيئة الاجتماعية . . الطيبات للطيبين ، والكبيرة للكبير .

ومن المناظر المألوفة أن يأتى المضيف إلى جفنة العريكة ، فيقتطع منها قطعة يكورها بين أصابعه كلقمة كبيرة لا يزدردها إلا الجائع النهم ، ويصنع منها إناء يشبه الملعقة أو بالأحرى أذن الذئب ، يغترف بها من السمن ويقدمها للضيف . وإذا كان الضيف عزيزا لا يكتفى المضيف بلقمة واحدة — وطوبى لمن يطيق ازدراد هذه الكتلة الهائلة من العريكة والسمن . لكنها هى العادات وهو الإكرام وهو حسن الضيافة .

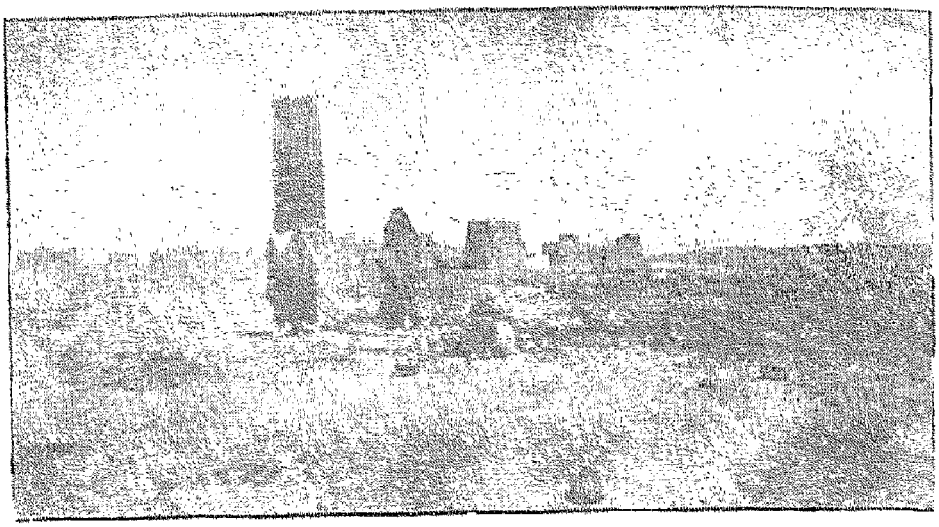

أحدث القصبات فى بلدة حجلة فى عسير . وهى عامة فى عسير ونجران

نساء بدويات فى سوق « أبها » وهن لابسات قبعات عريضة

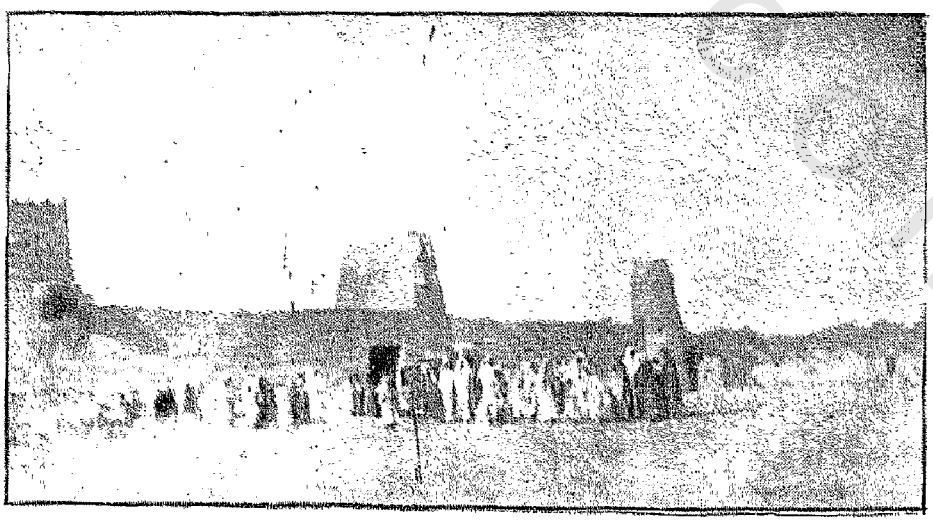

قصر شـــذا فى « أبها »

٣ — اللهجة

أم التعريف : حضرت أوّل سوق أسبوعية عقدت فى أبها عقب وصولى إليها، وتحوّلت فى أرجائها مستعرضا من فيها ، سائلا منقبا عن أحوالهم ، فما كان أشدّ عجبى حينما سألت أحدهم عن المكان الذى جاء منه فأجابنى : من « أمسقى » ، قلت : « ومن أنت » ؟ فأجاب : « محمد امناصر » وحينما تكررت الأحاديث بينى وبين كثيرين من أهل عسير أدركت أنهم يعرفون الأسماء بـ « أم » بدل « ال » . والتعريف بأم من لهجات العرب كما ورد فى الحديث (ليس من امبر امصيام فى امسفر) أى (ليس من البر الصيام فى السفر) . وشرعت أستقى المعلومات عن الجهات التى تعرّف بأم ، فعلمت أن التعريف بها قاعدة عامة عند الكثيرين منهم . وتبادر إلى ذهنى ما كنت أسمعه عن قبيلة مهمة بجوار جيزان اسمها قبيلة « امحمد » ، فإذا بها قبيلة « الحمد » عرّف اسمها بأم . وحضرت عرضة قام بها أفراد قبيلة رجال ألمع المرسلين إلى ساحة الحرب مستبدلين برفاق لهم ، فسمعتهم ينشدون :

عاموا قحطان مع جمع امشارق[١] يحفظون امحمد[٢] لا حيا بفارق
حتى يجون امعمى[٣]
ياعسير امهول ما هذى امقضيه[٤] ودّنا نجران نهب له سريه
عاموا ولد أمأمام[٥] لابد من صنعا ونحرق قصوره

قلب النون راء : طلبت من أمير عسير أن يرسل إلى منزلى بعض كبارهم للسؤال عن أحوالهم ، فجاءنى الشيخ زائد ، وأدلى إلىّ بمعلومات نفيسة عن حالة قبيلته وقراها وأوديتها وأودية تهامة إجمالا . وقد عجبت من اصطلاح ذكره أمامى ، فسألته عنه ، فأوضح لى غامضه . كان يملى علىّ القرى والشعبان التى تصب فى وادى حَلِى ، فإذا به يذكر أمامى أن الوادى ينتهى فى حلى « بر يعقوب » فاستغربت التركيب ، ولما سألته عن بعض مشاهير القبيلة كان يذكر اسم الشخص ثم يردفه بكلمة « بر »

(١ — ٥) أل بدل أم .

ثم يذكر اسم الوالد ، فتبادر إلى ذهني أن أسأله عن اسم والدته ، فسمعت عجبا ، قال حفظه الله : « أنا زايد بر غراره وأمي فاطمة ابرة محمد »

قلب الجيم ياء : ورجال ألمع وأهل عسير يقلبون أحيانا الجيم ياء ، فيقول أحدهم : « صليت في المسيد » يعني في المسجد ، و «رأيت الريال» أي الرجال . لقد ذكرتني لهجة أهل عسير في قلب الأحرف بواقعة جرت لي ولبعض الرفاق في قرية « شقرا » من قرى بني سفيان بجوار الطائف حيث ذهبنا للنزهة ، فسألنا أحد أهلها عن الوقت وكان قريب الظهر ، فقال : « فات الاهر » ، قلب الظاء لاما ، وكان مخاطبنا يقلب الظاء والضاد لاما في جميع الكلمات التي وردت على لسانه في حديثنا معه .

الكشكشة أو البشبشة : لاحظت في أهل النهم ظاهرة أخرى هي الكشكشة أو البشبشة . وقد لقيت صعوبة جمّة في فهم كثير من أحاديثهم بسبب ذلك . وهي لهجة ممجوجة لا سيما بين النساء ، وقد حاولت كثيراً أن أفهم حديثهن فلم أفلح . ولهن في الحديث لهجة خاصة يستعملن فيه الألفاظ الغريبة بسرعة فائقة . وكثير من الأسماء والأفعال غريب على سماعي . وطريقة التلفظ به أغرب .

ثمّ بمعنى هنالك : ومن ألطف اصطلاحاتهم وأخفها على السمع كلمة « ثمّ » بمعنى هنالك ، إذ يتلفّظون بها على البديهة دون أي تكلف ، يخاطبك بها الرجل والمرأة والغلام على السواء : « سرنا من امسقى وثمّ أو من ثمّ يطلع أموادى » (سرنا من الشقى ومن هنالك يطلع الوادى) .

الجمل المعترضة : لا أودّ إتعاب القارئ بما دوّنته من الاصطلاحات المركبة فأكتفي ببعضها . يغلب على أهل هذه البلاد إدخال جملة معترضة أثناء الحديث بقصد الدعاء والثناء والمديح على غرار :

إن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

يكون مخاطبك مسترسلا في الحديث وإذا به يزّح بالجملة المعترضة : «إيه ونا فداك» « إيه واللي يسلمك » . وقد تبلغ به المحبّة أن يقول لك لزيادة التأكيد : « ربّي يأخذني قبلك » ، أو « ربي يديمك ويبقيك » وكثيراً غير هذا .

ولا شك فى أن دراسة اللهجات العامية فى سائر البلاد العربية من المسائل الهامة جداً ، ولكننى واثق من أن دراسة اللهجات المحلية فى عسير وتهامة وأطراف اليمن من أكثر الدراسات نفعا لمعرفة الفوارق والعوامل فى لغتنا العربية . وإنى لأرجو أن يوفق الله إلى إتمام مثل هذا البحث .

٤ — مراسم الزواج

يوشك السفور أن يكون عاما فى القرى وبين البادية فى جميع أنحاء عسير وشهران وقحطان ، والاختلاط بين الجنسين عامّ خلا نساء الأمراء والأعيان فإنهن لا يمتزجن إلّا بأقاربهن الأدنين ، ولا شك فى أن الاختلاط بالغرباء يسبّب مشاكل شتى ، ولذلك فإن الحكومة الحاضرة عملت جهدها للقضاء على هذه العادة دفعا لمضارها واتقاء لمفاسدها ، غير أن ما عمل فى هذا الباب لا يزال دون الغاية المطلوبة .

عجبت بادئ الأمر من هذا الاختلاط ومن رفع الكلفة بين الجنسين ، ولكنّى أدركت أنّ نساء هذه البلاد قد اعتدن عدم الاحتراز من مخالطة الغرباء بفضل الزمن والعادات المتوارثة ، ولا يرين فى ذلك بأسا ، متمثّلات بقول الشاعر :

بيض حرائر ماهممن بريبة ويصدهّن عن الخنا الإسلام

أعتقد أن هذه البلاد قد منيت بقحط فى الرجال ، وكان من جراء ذلك أن رخص الزواج ، وجرى فيه تساهل عظيم مع الغرباء عن القبيلة ومع غير الكفء . وقد لاحظت أنواعاً من الزواج كانت المساومة فيه أساساً له وكان المال سبباً لإتمامه ولم يستنكف أهل هذه البلاد عن تزويج بناتهم من الجنود برغم علمهم بقصر مدة إقامتهم بين ظهرانيهم . وهذا التساهل فى اختيار الأزواج أو بالأحرى فى بيع النساء للرجال بثمن بخس دراهم معدودة قد لفت نظرى إلى هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التى أرجو أن يكون الباعث عليها الحرب وضروراتها ، وأن تكون الأسباب التى أوجدتها قد زالت الآن .

كنت أعجب أول وصولى إلى عسير من كثرة الأحاديث عن الزواج الذى لا يخلو منه مجلس ، ولكن عجبى أخذ فى التضاؤل بمرور الزمن حتى أصبحت لا أرى

غضاضة فى طرق الموضوع فى أية مناسبة . وزعم بعض محدثىّ أن الزواج بين أفراد القبيلة لاسيما بين أبناء العم رخيص جداً ، فالمهر لا يتجاوز غالباً خمسة عشر ريالا فرنسيا (١٢٠ قرشاً مصرياً) ، غير أن الذى يدفع منه بالفعل خمسة ريالات فقط ، إذ العادة فى هذه المهور أن تجعل ثلاثة أقسام ، الثلث الأول يدفع نقداً والثلث الثانى ينزل عنه ولى أمر العروس مقابل الضيافة التى يقدمها للعريس ، والثلث الباقى هدية .

أما فى وقت وجودنا بأبها فقد أخبرونا بأن سوق المهور قد ارتفعت جداً بالنسبة للأغراب الراغبين فى الزواج . وقد حدث أن بعض كبار الجند قد أبلغ المهر إلى ٥٠٠ ريال نقداً ، وهذا أمر لم تعهده نساء تلك البلاد ، فكان الإقبال على الزواج عظيما من الجانبين .

واختيار العروس ـ لاسيما القرويات والبدويات ـ يقع فى أحد مكانين : السوق أو البئر ، وما على الراغب فى الزواج إلا أن يرتدى أحسن ثيابه يوم السوق ، ويشرع فى ذرعه ذهاباً وجيئة ، إلى أن يقع نظره على فتاة تعجبه ، فيتقدم إليها خاطباً باللغة المعلومة : « أنا ميدك » و « أنا ميد » و « أنا ليس ميد » . ويستدل على ولىّ الفتاة وتتم الخطبة فى نهار واحد ، وهاك المهر ، وهاك الضيفة وهاك الشرهة ، وهاك الأستاذ مأذون الزواج : بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان من حلل النكاح وحرم السفاح ، مبارك يا عريس .

وقد بلغ التنافس على العرائس أشده أيام كنا فى أبها ، فعوضاً عن استعراض الفتيات فى السوق بدأ الراغبون فى الزواج فى تصيدهن من بعيد فى طريقهن إلى السوق قبل وصولهن إليه ، حتى لا يزاحمهم مزاحم أو ينافسهم منافس . الزواج سهل ، والطلاق ميسور ، إما وفاق و إما فراق ، وكان الله يحب المحسنين .

أما البئر فإنها جامعة فتيات الحى أو القرية ، يقصدنها حاملات القرب على ظهورهن ، إذ أن السقاية وحمل الحطب والكلأ من مهمات النساء الماهرات فى الحمل على الظهور ، والسقاية من البئر بالتسلسل ، وقد تطول عملية رفع الماء بالدلاء ، وهذه فرصة حسنة للحديث فيما بينهن أو مع الشبان الراغبين فى الزواج . يحصل التعارف

والاتفاق الضمنى على البئر ، ثم يعقب ذلك إجراءات الخطبة الرسمية فى البيت وفيما يلى طرف مما شاهدته من هذه الإجراءات والعادات :

حضرت حفلتين من حفلات عقد الزواج كان العريس فى كلتيهما من أصدقائى وكانت المراسم فيهما واحدة تقريباً مع بعض الاختلاف فى الفروع والهوامش لا فى الأسس والقواعد . ركبنا من أبها فى سيارتين إلى قرية مجاورة واقعة فى جهتها الشمالية اسمها «رضف» حيث العروس وأهلها ، ولما اقتربنا من بيوت القرية أخذ رفاقنا يطلقون الرصاص من البنادق والمسدسات ، وكان المنتظر أن يقابلنا أهل القرية بالمثل غير أنهم بخلوا بالخرطوش فلم يطلقوا طلقة واحدة ، وإنما قابلونا صفاً طويلا محيين مرحبين ، ثم دعونا إلى بيت تناولنا فيه القهوة . وكان علينا أن ننتظر نتيجة المساومة على توزيع مهر العروس بين والدتها وأخيها وعمّها الذى هو وليها . كان المهر مائة ريال نقداً لم يتمكن الوسيط من توزيعه على وجه يرضى الجميع إلا بعد مناقشات ومحاورات كثيرة . وقدم العريس علاوة على النقد هدية من السكر والشاى والقهوة والهيل كما قدم الجهاز المؤلف من ثلاثة أثواب كاملة أحدها من الحرير ، ولم يكن فى الجهاز مصاغ قط . وبعد إتمام هذه الإجراءات دعى المأذون بإجراء العقد ، فقرأ ما تيسر من كلام الله ، ثم أجرى العقد بين ولى أمر العروس وبين العريس شفهياً دون أن يكتب صك بذلك كما هو متبع فى أكثر البلاد ، وبذلك انتهت المراسم وتم عقد الزواج . ثم دعينا إلى تناول طعام الضيافة ، وكان يتألف من كبش مسلوق وأرز مفلفل — وهذا من النوادر — ومرق وعريكة وخبز ، وباركنا للعروسين وتمنينا لهما السعادة والهناء .

أما مراسم الحفلة الثانية فلم تختلف عن الأولى إلا بتبادل إطلاق الرصاص من الحانبيين ، وبعدم مشاهدتنا مساومات المهر وتوزيعه ، كما أننا لم نشاهد توزيع قطع اللحم كما جرى فى الحفلة الأولى .

أبناء عم العروس أولى بها من الغرباء ، ولهم عليها حق الأفضلية ، ولذا يجب التثبت من عدم معارضتهم فى الزواج أو إرضاؤهم للتخلى عنه قبل إتمامه .

ويروى البسطاء من أهل البلاد حكايات طريفة عن الخرافات المتسلطة على أذهانهم ، إذ يعتقدون بقدرة أهل العروس على الحيلولة دون وصول العريس إلى عروسه . وطريقة ذلك أن يعقدوا للعريس عقدة تعجزه عن بلوغ مراده من زوجته ، ولهم فى ذلك طرق عديدة يتوسلون بها ويؤمنون بفائدتها للوصول إلى النتيجة المطلوبة على زعمهم . وفيما يلى بعض الوسائل التى يتوسل بها أهل العروس وأبناء عمومتها للحيلولة بين العريس وعروسه إن لم يكونوا راضين عن الزواج ، وذلك حين إجراء المأذون لمراسم العقد .

١ — عقد خيط أو شريط أو طرف الفترة أو الثوب .

٢ — خلع الخاتم من الإصبع ثمّ إعادة لبسه رويدا رويدا كلّما قرأ المأذون جملة أو آية .

٣ — سلّ الجنبيّة من غمدها ثمّ إعادتها إليه أثناء قيام المأذون بعمله دون أن يلحظ أحد ذلك .

٤ — قلب النعال حين إجراء العقد .

٥ — عقد بعض شعرات من صوف ذبيحة العروس حين إجراء العقد .

٦ — عقد مصران الذبيحة .

٧ — غمس مسمار فى دم الذبيحة ودقّه فى الأرض .

٨ — خلط مرق الذبيحة بماء حين إجراء العقد .

هذه أشهر الطرق . وهنالك طرق أخرى غيرها . وممّا يوجب الأسف أن هذه الخرافات تجرى من القوم مجرى الدم ، ولها فى نفوسهم أثر عظيم ، ولذلك فإن أهل العريس يكونون يقظين منتبهين حين إجراء العقد ، لئلا يحدث شىء من ذلك .

وممّا يجدر بى تسجيله هنا — على سبيل الفكاهة — واقعة حدثت لرفيقنا الذى كان دائما مصدر السلوى والتفكهة : « كنعان أفندى » . كنا نمازح كنعان ونرغّبه فى الزواج ونشجعه عليه ، ومن المعلوم أنّه أعزب . وكنّا كلما خرج بمفرده من المنزل نسأله بعد عودته عمّا إذا كان قد وفّق إلى العثور على فتاة موافقة ، وتعهدنا بمساعدته بالمهر

وحفلة العرس ، فطلب منّا تدبير المساعدة المالية من الأمير سعود أولا ، فإن دبّرت فإنه لا يمانع فى الزواج . وقد كلّف فعلا أحد أصدقائه بالبحث عن فتاة مناسبة ، ووفق الصديق فى مهمته وأرشده إلى فتاة فى السادسة عشرة من العمر ، غير أنّ كنعان كان قد تسلّم المساعدة المالية فاعتبرها فتاة أحلامه وعدل عن الزواج وأخبر صديقه بالعدول عن الخطبة !

ومن غريب المصادفات أن الأمير تركى السديرى أمير عسير كان معى فى المنزل وقت الغذاء ، وخرج إلى دار الحكومة ، وما عتم أن أرسل إلىّ رسالة يخبرنى فيها بأن حديث كنعان معنا عن عدم زواجه خرافة ، وأنه لعب علينا بزواجه خفية عنّا . ونظرا لمعرفتى الوثيقة بأن كنعان لم يتزوج ، لم أصدق الخبر بالطبع ، غير أنّى اغتنمتها فرصة للتفكهة بممازحة كنعان وتشويش أفكاره والتهويل فى أمره .

أخبرت كنعان بأن أهل البنت قد شكوا للأمير نكثه وعدوله عن الزواج دون أن يسلّم المهر ، وأنّ الأمير لم يشأ اتخاذ الإجراءات ضدّه قبل مشاورتى والاتفاق معى على حلّ الموضوع صلحا ، وعليه دفع المائة ريال قيمة المهر وإلّا اضطر الأمير إلى النظر فى الشكوى بصورة قانونية .

حينما أعود بذاكرتى إلى منظر كنعان ساعة إخباره بذلك الخبر ، تستفزّنى عوامل الضحك والاغتباط من موقف كنعان الحرج واعتباطه وقلقه . يالها من ساعة عصيبة وكارثة مؤلمة ألمّت به . لم نترك وسيلة من وسائل الاستفزاز والتهويش والمشاكسة إلاّ اتخذناها ، فازداد الكرب به ، وضاقت به الحيل ، فتركنا غاضبا من إهمالنا له وعدم مبالاتنا به فى ساعة شدّته ، وذهب إلى السوق متفرّجا عسى أن يطرح همومه وينسى آلامه ، غير أنّه عاد إلينا بعد ساعة تبدو عليه الآلام النفسية من هذه الورطة ، ولم يطق صبرا بين الرفاق ، فأخذ بندقيتى واعتزم الخروج للصيد على حدّ قوله ، فخفنا أن يؤدى به الأمر إلى الانتحار ، فأطلعناه على الحقيقة بين قهقهة الرفاق وتصفيقهم الحاد للعريس الخيالى الجبار !

٥ — الخرافات

تنتشر فى هذه البلاد عقائد خرافيّة تجرى من نفوس أهلها مجرى الدم ، ولها أثر شديد فى تكييف أمزجتهم ، فأكثرهم يعتقد بالسحر والتنجيم وكتابة الحجب والطلاسم ، الأمر الذى يجد المشعوذون معه سوقا رائجة لشعوذاتهم وأباطيلهم ، ويتوسلون بذلك لسلب البسطاء أموالهم أو لسلب أموال النساء الجاهلات . نعم إنّ نشر قواعد التوحيد منذ تأسيس الحكومة الحاضرة قضى على كثير من هذه الخرافات والأوهام الباطلة ، غير أنّه لم يقض عليها قضاء مبرما .

لا شك فى أنّ اعتقاد البسطاء فى قدرة بعضهم على منع العريس من مساس عروسه بواسطة عقد العُقد ضرب من الأوهام والخرافات .

وتخريف أيضا اعتقادهم السائد فى قبر « ذى القرنين » الواقع على ملتقى واديى جوحان وأبها ، وهو القبر الذى هدمه الإخوان أيّام الفتح الأولى .

وكذلك من الخرافات الاعتقاد السائد بينهم بشأن الكهف المجاور لجبل « تمنية » ، يزعمون أنّ فيه ثلاث جثث كبيرة لأناسيّ ماتوا منذ قرون غير أنّ أجسادهم تجمّدت وظلّت على حالها ، وأن كل من رأى هذه الجثث أصيب بشىء لا يستطيعون أن يقروه أخير هو أم شرّ .

ولكن أعجب ماروى لى من عقائدهم الخرافية اعتقادهم بما يفعله أهل داخل اليمن من استنطاق الموتى الذين يقتلون غيلة ، وزعمهم بأن فى إمكانهم معرفة القاتل وتطبيق الجزاء عليه بهذه الطريقة . وحبّذا لو كانت هذه الخرافة حقيقة ، إذن لتمكن قضاة التحقيق من كشف أسرار الجرائم والضرب على أيدى الجناة والمجرمين ، ولكنها خرافة لها أثرها العظيم فى أوهام الناس .

إذا اغتيل إنسان وأريد معرفة قاتله ، قام أهل القتيل بمعونة بعض السحرة والكهان إلى سلم فربطوا القتيل إليه عرضا ، وحملوه إلى مكان بعيد بين الجبال حيث لايسمع نباح الكلاب ولا الأصوات المزعجة ، وعلّقوا السلّم على شجرة ،

ثم عمدوا إلى حفرة فى الأرض تتسع لجلوس شخص واحد فوضعوا فوقها صخرة كبيرة بحيث تغطّيها إلاّ فتحة صغيرة مواجهة لوجه القتيل المعلّق على السلّم المربوط إلى الشجرة . وينصرف رفاق المختبىء فى الحفرة إلى مكان منعزل لا يُشاهَدون منه . فإذا جنّ الليل أنصت المختبئ فى الحفرة وحدق فى وجه القتيل منتظراً وقوع الأعجوبة ، وإذا بطير كبير يشبه النسر ينحط من السماء على عالى الشجرة مقابل الميت ، ثم تبدأ عملية الاستجواب والاستنطاق .

يتكلم النسر مشيرا إلى الميت طالباً منه أن يخبره باسمه واسم عائلته ، وربما سأله عن عمره برغم أن هؤلاء البسطاء لا يؤرخون أعمارهم ولا توجد فى ديارهم مصالح إحصاء ولا دوائر تسجيل النفوس — فيفتح القتيل فاه ويجيب عن أسئلة النسر واحدا واحدا ، ويطلعه على اسم القاتل ومكان القتل وكيفيته وغير ذلك من التفاصيل .

وقد يكون النسر محباً للاطلاع راغباً فى كشف أسرار الموتى وأفعالهم فى الحياة الدنيا ، فيتمادى فى السؤال والميت يجيبه على أسئلته حتى يتطرق إلى الخصوصيات المحضة ، فيصيح المختبىء فى الحفرة بالنسر أن كفى ولا لزوم لكشف أسرار الموتى ، فيغضب النسر من هذا الطفيلى ويثور عليه ، وينقض على الحفرة للانتقام منه وتمزيقه بمخالبه القوية ومنقاره المحدّد ، فيصيح الرجل المختبئ مستغيثاً ، ويقبل عليه رفاقه لإنقاذه ، فيضعف النسر أمام الكثرة التى تغلب الشجاعة ، فيفر لساعته ، ويسارع الرجال إلى رفع الصخرة عن فوهة الحفرة لإنقاذ رفيقهم ، وينظرون فإذا الميت على حاله لا يتكلم ولا يتحرك .

بهذه الوسيلة يكشف أهل اليمن أسرار الموتى وطريقة اغتيالهم للانتقام من القاتل . إلا أن المثل السائر يقول : « لكل شىء آفة من جنسه » و « لكل داء دواء » . فالقاتل الذى يعلم أن تلك الوسيلة قد تفشى سره ، لا يستبعد أن يعمد إلى قطع لسان القتيل وشفتيه ، فيصبح عاجزا عن النطق حينما يستجوبه النسر ، ويقضى بذلك على آمال أهل القتيل فى الوقوف على السر .

الفصل الخامس

بلاد وادعة وقحطان

وادعة ظهران ، قراها وأوديتها — نسب قحطان وأقسامها — قرى قحطان — وادى تثليث

١ — وادعة ظهران ، قراها وأوديتها

كنت أعتقد قبل رحلتى إلى عسير أن قبيلة وادعة تؤلف قسما من أقسام قبيلة قحطان ، وهذه العقيدة هى التى جعلتنى أذكر وادعة ضمن أقسام قحطان فى كتابى « قلب جزيرة العرب »[1] . وحينما تقابلت مع كبار وادعة فى خميس مشيط علمت منهم أنهم من نسل همدان بن زيد ، وأن أقاربهم وأبناء عمومتهم ، هم اليامية أهل نجران وحبونة وذوو محمد وذوو حسين وَدَّهم ، حالة كون قحطان ينسبون إلى عامر بن الحُلف بن قضاعة ، وهم أقرب إلى خَوْلان بن عامر (بنو جماعة ومنبه وكثيرون من غيرهم) منهم إلى وادعة

تقع بلاد ظهران فى منتهى حدود المملكة العربية السعودية المتاخمة لليمن ، وتبعد عن خميس مشيط بطريق السيارات ٢٢٦ كيلومتراً ، وهى بلاد جبلية ذات أودية كثيرة خصبة ، يحدها من الجنوب بلاد سحار الشام والفاصل بينهما « رأس عِلَيْن » يقابله فى حدود اليمن « عقبة الشُّطْبة » التى كانت مدخل الجند إلى اليمن بقيادة ولى العهد ، ويحدّها عن بلاد بنى جماعة « يَبَاد » و « الصخيرة » وهما بجوار « وادى الحاجر » ويحدّها من جهة الغرب أى من جهة تهامة جبل « آل مخطيّ » و « المُسَنَّى » . وأما من جهة الشرق فإن بلاد « يام » متصلة بها ، وأقرب القرى إليها بلدة « بدر » مركز المكارمة ، وبين بدر وظهران مسافة ست ساعات يقع فى منتصفها ربع يسمى « رَهْوَة المَقْصَم » .

---

(١) ص ١٨٩ .

إن سكنى قبيلة صغيرة كوادعة فى منعزل عن أبناء عمّها من همدان بن زيد، أمر لا يمكن تفسيره بالوقائع التاريخية الثابتة، وليس لذلك مثيل إلا وجود قرية عياد التابعة لسحار بين ظهران وبلاد بنى جماعة من خولان ، ومع ذلك فقد استقرت هذه القبيلة واستقلّت به وخالطت قحطان بن عامر واختلطت أنسابهما ، مما دعا كثيرين إلى الظن بأنهما قبيلة واحدة .

وتقسم القبيلة إلى قسمين : « آل حيّان » و « وادعة » ، ولكن الأهالى يقسمون القبيلة بحسب القرى التى يقطنونها ، وهذه أسماء قرى القبيلة وأوديتها

١ — وادى الحاجر : ينبع بالقرب من وادى النشور فى بلاد سحار باليمن ويتجه إلى الشرق حيث يصب فى وادى هداده الذى يصب بدوره فى وادى حبونة

٢ — وادى قتام : ينبع ما بين علبين والشعلبة ، وهى الحد الفاصل بين اليمن والمملكة العربية السعودية ، ثم يصب فى وادى الحاجر ، ويجتمعان فى « المجزعة » ثم فى هداده .

وفى هذا الوادى خمس قرى هى اعتباراً من علوّه إلى مصبّه :

(١) الحنكة (٣) الوساطة (٥) المجزعة
(٢) الصمدة (٤) الشحق

٣ — وادى العرين : يبدأ فى « عراعر » التى توالى تهامة من جهة الغرب ، ويصب فى المجزعة ، وفيه من القرى ما يأتى :

(١) عراعر (٤) بلدة ظهران
(٢) آل عبيد الله (٥) آل المونس
(٣) الحصن (٦) التبضة

وجميع الأودية المذكورة تصب فى القرن والخانق فى أعلى وادى حبونة

٤ — وادى الفيل : يبدأ من قرية الأرنب ، ويصب فى القرن فى أعلى حبونة وفيه من القرى :

(١) الأرنب
(٢) الشعب
(٣) المعلف
(٤) آل كعبان وهم كبار وادعة
(٥) ملحة

٥ — وادى طلحة : وهو واد صغير يدفع مياهه فى طرف « الذراع » وهى قرية يعلوها « سيل الحمرة » ، وليس فى الوادى سواها .

٦ — وادى رشاد : وأوله قرية « آل جزقة » ، وتليها قرية « آل يعلى » ، ويصب فى « القرن » ثم فى حبونة .

هذه الأودية الستة هى أصل وادى حبونة ، أحد الأودية الستة التى ذكرنا أنها تصفّى السطح الشرقى المائل لبلاد السراة ضمن المملكة العربية السعودية . ويصب فى حبونة أيضا واديان آخران فى بلاد « يام » هما وادى « الهداده » ، ووادى « الحرشف » .

والطرق الممتدة من بلاد وادعة إلى ما جاورها شتى أهمها :

(١) طريق عقبة الخشبة .
(٢) طريق هفاص .
(٣) طريق شجع .
(٤) طريق المصلولة .
(٥) طريق القمم وعلبين ، وهى طريق اليمن .
(٦) طريق سعد الكامل .
(٧) طريق الخانق وبدر وحبونة .

٢ — نسب قحطان وأقسامها

يطلق على هذه القبيلة اسم قحطان بن عامر ، والأولى أن تكون قحطان بن عمرو بن الحَلْف بن قضاعة ، وقحطان أخو خولان بن عمرو الذى منه قبائل كثيرة

فى اليمن وتهامة . وقحطان من القبائل العربية المعاصرة فى العدد والعدة ، ومنها فروع متحضرة وفروع عشائر لا تزال على البداوة فى عسير ووادى الدواسر ونجد ، ويجتمع بها فى أحد أجدادها الأعلين قبائل بنى خالد وبنى هاجر وسواها . ولن نذكر هنا إلا أقسام قحطان المقيمة فى جهات عسير بين وادعة ويام وعسير وشهران من الجنوب والغرب والشمال وبين وادى الدواسر من الشرق . ويمكن تحديد ديار ما سنذكره من أقسام قحطان بأنها واقعة فى أعالى وفى مجرى وادى تثليث ووادى بيشة[1]

ويمكن تقسيم قحطان إلى الأقسام الخمسة الآتية :

أولا — بطن رُفَيْدة . وأميرهم ابن سام الذى ذكرنا أن علو بيشة يسمى باسمه

وفى هذا البطن ستة أفخاذ هى :

(١) ذُعَيّ
(٢) بنو قيس
(٣) جارمة وخطاب
(٤) الحف ووقشة ومن وقشة آل الحجل

ولرفيدة أتباع فى تهامة ذكروا لى منهم القبائل الآتية :

(١) الجهرة
(٢) آل على
(٣) آل الحلامى
(٤) آل مفرج
(٥) آل مفتاح
(٦) آل مكاذب
(٧) آل السرى

ثانيا : بطن بنى بشر . وأميرهم ابن ثقفان ، وفيه العشائر الآتية :

(١) آل عرفان
(٢) الحيان
(٣) آل محمد
(٤) آل فرحان

ولبشر أتباع فى تهامة هم :

(١) آل مسعود
(٢) آل على

---

(١) انظر تفاصيل وادى بيشة فيما سبق

(٣) آل حسان
(٤) آل الحسن
(٥) آل سالم

ثالثاً : سنحان الحباب . وأميرهم الحميدانى ، وفيه العشائر الاتية :

(١) الزربا
(٢) الغازى
(٣) آل الشريف
(٤) الرشدة
(٥) آل شوكان

ولهم فى تهامة أتباع أهمها ما يأتى :

(١) آل حجل
(٢) « سارى
(٣) « مداوى
(٤) « غائضة
(٥) « النعير
(٦) حَيَّان
(٧) آل عمس
(٨) « مفتاح
(٩) « مَعِينة
(١٠) « مشاش
(١١) « سعيد

رابعاً : بطن عبيدة . وأميرهم ابن شفلوط ، ويمكن قسمته إلى فخذين : « آل الصقر » و « آل الحارث » . وفيه من العشائر ما يأتى :

(١) الفهر
(٢) آل مهدى
(٣) « معمر
(٤) المرجان
(٥) حَمَالة
(٦) الحرقان أو آل سليمان
(٧) المساردة
(٨) آل سلمان
(٩) آل على
(١٠) آل زهير
(١١) آل الكرعان
(١٢) آل زيدان
(١٣) آل الجرو
(١٤) الجرابيع
(١٥) العبس
(١٦) آل عائذ

obeikandl.com

(١٧) آل قريش
(١٨) آل الجلدة
(١٩) بنو طلق
(٢٠) الوهابة
(٢١) العرين
(٢٢) البسام
(٢٣) المنادية

خامساً : بطن شريف . وكبيرهم دليم بن محمد أبو لعثة ، وأقسامهم كما يأتى :

(١) آل سريع
(٢) بنو يزيد ومنهم ابن دليم
(٣) بنو هاجر
(٤) آل عبد القادر
(٥) بنو أوس
(٦) آل داود .

٣ — وادى تثليث

ينبع وادى تثليث من بلاد قحطان ، ولذلك رأينا ضرورة ذكره فى هذا الموضع من الكتاب مع ذكر روافده الكثيرة التى تمده بأمطار بلاد قحطان ، مثلما ذكرنا من قبل بعض الروافد التى تمده من بلاد شهران

فى بلاد قحطان تسعة أودية تقوم عليها قرى عامرة هى أساس وادى تثليث ، وهى اعتباراً من الجنوب إلى الشمال كما يلى :

أولاً : وادى القصب : وأساسه واديان :

ا — وادى الجمع ، وفيه قريتان :

(١) آل حازب
(٢) آل حيان .

ب — وادى جناب ، وفيه ثلاث قرى :

(١) آل سعد .
(٢) آل الهوى .
(٣) « الزبيرى .

ثانياً : وادى سروم : وتقوم على أطرافه القرى الآتية :

(١) القعدة .
(٢) آل حنى .

(٣) السلاطين .
(٤) الجهاوات .
(٥) ابن قماش .
(٦) آل البازم .

ثالثاً : راحة سنحان : وفيه من القرى :

(١) آل الحمرى .
(٢) « عيضة .
(٣) الأشمث .
(٤) آل عمران .

رابعاً : راحة شريف : وفيه من القرى :

(١) الحوط .
(٢) القروات .
(٣) آل شَمَّاخ .
(٤) « المونس .
(٥) القضـــاة .
(٦) الهفلان .
(٧) أمّ ظاهرة .
(٨) الفيض .

خامساً : وادى الحرجة ، وفيه قريتان :

(١) خيسر .
(٢) الحرجة ، وهى مركز هام للتجارة مع اليمن وعلى الأخص تجارة البن .

سادساً : وادى محلاة ، وفيه ثلاث قرى :

(١) البغصة .
(٢) آل صبرة .
(٣) آل داود .

سابعاً : وادى يعوص ، وفيه من القرى :

(١) العقدة .
(٢) بنو هاجر .
(٣) أهل النقعة .
(٤) آل سامر .
(٥) آل مسلمة .
(٦) « الباس .
(٧) « شارد .
(٨) « الكولة .

obeikandl.com

رقصة الحرب « الدبكة » عند أهل نجران

وادى « تثليث »

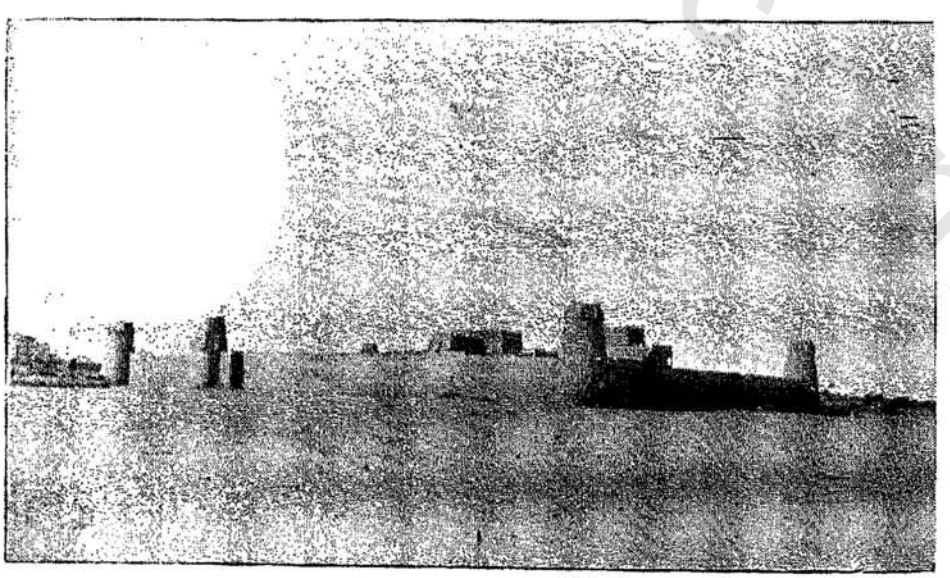

قلعـــة بيشة

obeikan.com

(٩) آل سيف .
(١٠) « الطيق .
(١١) الحظيرة ، وهى مقر ابن دليم .

ثامناً : وادى الوقيرة ، وفيه من القرى :

(١) آل شَرِيَّة .
(٢) « مقامر .
(٣) آل طلحان .

تاسعاً : وادى الحظيرة ، وفيه من القرى :

(١) الحظيرة .
(٢) دهـــــل .
(٣) الخضرا .
(٤) العنابس .

والأودية التى ذكرناها تعود إلى بطون « بنى بشر » و « سنحان الحباب » و « شْرِيف » من قحطان . أمّا « عَبِيدة » و « رُفَيْدَة » فإن أوديتها تتجه إلى ناحية بلاد شهران وتثليث ، ولذا فإننا — عدا ما ذكرناه — نذكر فيما يلى أهم الأودية التى ترفد وادى تثليث .

يذكرون أن وادى تثليث كان ملكا لعمرو بن معدى كرب ، ولكننى أرجح أن يكون عمرا قد ملك أواسط الوادى الذى تقوم عليه فى زماننا الحاضر قرى وهجر لبعض عبيدة من قحطان ، أمّا أن يكون ملك الوادى من منبعه إلى مصبه فذلك ما أستبعده .

طلبت من مترك بن شفلوط شيخ عبيدة أن يصف لى الوادى ، متبعاً فى ذلك مجراه من علوه إلى مصبه ، فوصفه لى على النحو الآتى :

علو تثليث فى الخوايس أى المناقع التى عند سنحان والحرجة و بلاد شريف ، ويحول منها متجها إلى الشمال حتى يصل بعد مسيرة يوم للعطية إلى « المواه » وهو المكان الذى تجتازه طريق السيارات الذاهبة إلى « الحصينية » فى أسفل وادى « حبونة » فى طريقها إلى نجران ، ثم يمتد من « المواه » إلى مسيرة نصف يوم للعطية حتى يبلغ « الحُمْضَة » وهى قرية فى بطن تثليث تخص « آل مسفر » من

« آل مسعود » من « آل الجمل » من «قحطان» . ومن الحمضة يتجه إلى « الحفائر » وهو ماء فى البادية بينه وبين الحمضة ثلاث ساعات ، ثم على مسير ساعة يصل إلى « النقرة » وهى هجرة لابن عَبّود من قحطان ، وفى هذ المكان يصب فى الوادى سيل سراة عَبِيدة المسمى « طريب » الذى تقوم عليه هجرة « السبيخة » بلد محدثى ابن شفلوط . ويتجه الوادى من هذا المكان إلى « الكهَيْف » وهى هجرة لآل سعد التابعين لابن لبْدة من قحطان ، وبجوار هذه الهجرة قرية أخرى لآل سويدان التابعين لابن عبود من قحطان ، ثم ينحدر إلى « بزيز » وهى على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « جينة » على مسافة نصف يوم أيضا ، ثم إلى «مَلَح» مسيرة نصف يوم ، ثم ينحدر إلى أن ينتهى بعرق « المختمية » الفاصل بين تثليث ووادى الدواسر .

وقد فاض تثليث عام ١٣٣٧ (١٩١٨) فيضانا عظيما ، فكسر العرق الرملى الذى يحجزه عن وادى الدواسر عند المختمية ، وطغى على وادى الدواسر ، وجرف كثيراً من بلدانه وقد ذكر لى الأمير عبد الله بن معمر الذى كان أميراً على الدواسر إذ ذاك أن السيل مكث أياما كثيرة لا يمكن مغالبته ، ولذلك سمى المكان الذى اخترقه السيل فى العرق الرملى المنكسر « مفجر المختمية »

وفيما يلى الأودية الرئيسية التى يمكن القول بأنها ترفد وادى تثليث خلاف الأودية المار ذكرها :

أولا : سيل سراة عبيدة من قحطان أو سيل طريب وهو ليس بعيداً عن وادى يثة ابن سالم ، ويمر بالسبيخة بلد ابن شفلوط على بعد ٤٩ كيلو مترا من خميس مشيط ، ويتجه منها إلى « جاش » ثم يلتقى بتثليث عند « النقرة » بلد ابن عَبود كما مر .

ثانيا : سيل الهيج : ويطلع من أودية « بنى طلق » عند « الحنقة » ، ويمر فى « الرحيق » ، ويلاقى تثليث فى « الحفائر »

ثالثا : وادى المسيرق . وهو مجتمع ثلاثة أودية كبيرة :

١ — وادى الشيق المار ذكره فى الفصل الخامس ببلاد خيبر من شهران

٢ — وادى السليل المار ذكره فى وصف الطريق بين خيبر وتندحة

٣ — وادى خيبر نفسه .

وتجتمع هذه الأودية الثلاثة عند بلدة خيبر وتصب فى وادى « ثفن » الذى يعارض تثليث وراء جاش .

رابعاً : سيل القاعة : ويطلع من «عقدان» وهو ماء إلى الغرب من شعيب «طريب» ويسير إلى بلدة اسمها « يمرى » لقبيلة ناهس من شهران ، ثم يلتقى بسيل «الطَّرِيسة» ثمّ يصبّ فى طريب عند « الجِثْوة » فوق السبيخة بمسيرة ساعة .

٤ — قرى قحطان

ذكرنا فى النبذة الثانية من هذا الفصل أسماء الأودية والقرى العائدة لبطون سنحان وشريف من قحطان ، والآن نذكر أسماء قرى « رُفَيْدة » و « عبيدة » و « بنى بشر » ، وعذرى فى ذكرها ، مع علمى بأن هذا البحث جاف ، رغبتى فى أن أجمع للمرة الأولى أسماء جميع الأودية والشعبان والقرى فى بلاد عسير وملحقاتها كى تكون مرجعاً للمطلعين المدققين .

أولا : قرى بطن رفيدة :

ا — قرى فخذ الحف : ويسميها أهلها « لحاف »

(١) العكاتة	(٦) آل على	(١١) بنى وهب
(٢) الحيفا	(٧) آل بايع	(١٢) آل لوط
(٣) القرن	(٨) البطحاء	(١٣) الشاعر
(٤) آل حلامى	(٩) آل عامر	(١٤) الدمام
(٥) آل حذيلة	(١٠) الصمخبة	(١٥) آل السر (امسر)

ب — قرى فخذ وقشة :

(١) بلحى	(٥) المصياد	(٩) وادى حارث
(٢) آل أبى صبب	(٦) الضور	(١٠) آل خزيم
(٣) الحمرة	(٧) آل القضف	(١١) القرن
(٤) الحرقان	(٨) آل خيش	(١٢) العيص

ج — قرى فخذ آل الجمل :

(١) الديبة	(٤) المحشوش	(٦) الصفرا
(٢) المجمع	(٥) آل ابن حى	(٧) المراغة
(٣) آل فجعة		

د — قرى فخذ قيس :

(١) الجوف	(٢) لزمة	(٣) الدرب
(٤) الحظيرة	(٥) الربّـة	

ه — قرى فخذ مستنير :

(١) الثّنية	(٢) الروغ	(٣) بالمديد

و — قرى فخذ ذُعَيّ :

(١) آل كامل	(٤) المراغة	(٧) آل مدير
(٢) آل مفرج	(٥) آل بريد	(٨) آل سالم
(٣) آل ماشى	(٦) بنى تميم	(٩) آل قصيف

ز — قرى فخذ جارحة وخطاب :

(١) المصيق	(٤) آل الشيخ	(٧) آل زهير
(٢) القرحاء	(٥) الدربين	(٨) يسواق
(٣) غقرة	(٦) عراب	(٩) آل الداحس

obeikandl.com

(١٠) آل العظبا (١٣) آل الرميح (١٦) آل عمرنية
(١١) آل السواد (١٤) الجوف (١٧) آل عسر
(١٢) آل نادر (١٥) آل شوية

ثانياً : قرى بطن عبيدة :

(ا) قرى فخذ آل الصقر :

(١) الربعة (٦) آل ثابت (١١) آل عقبة
(٢) آل كنبة (٧) آل مهدى (١٢) آل قرعة
(٣) آل جلدة (٨) آل حبيل (١٣) آل بسام
(٤) آل الشوف (٩) آل جبرة (١٤) آل سليمان
(٥) القضعان (١٠) آل قريش

(ب) قرى فخذ آل معمّر :

(١) سحيان (١٠) آل دريم (١٨) الوادى الأبيض
(٢) الربايع (١١) المحاميد (١٩) الحراملة
(٣) الحدباء (١٢) آل نميلة (٢٠) آل زليق
(٤) الحظير (١٣) المخرمة (٢١) آل كلب
(٥) الجرذاء (١٤) الوهابة (٢٢) المجاذعة
(٦) آل عربيدة (١٥) آل مهروى (٢٣) ابن خطاب
(٧) الزهرة (١٦) آل محاصر (٢٤) الأشاعرة
(٨) الفلقة (١٧) آل سلمان (٢٥) ابن الورد
(٩) الهواجر

(حـ) قرى فخذ بنى طلق :

(١) آل خضير (٣) الرهط (٥) عنجة
(٢) زهير (٤) القفاعيس (٦) آل مفرى

(٧) آل دكيم (٩) الصفاق
(٨) آل مذعان (١٠) آل الحرد

(ء) قرى فخذ طريب والعرين :

(١) الجرابيع (٤) رغوة (٧) وهبة
(٢) الفرس (٥) آل كريمان (٨) آل عرفان
(٣) الحراملة (٦) آل جابر (٩) آل أبى نهار

ثالثاً : قرى بطن بنى بشر :

(١) العسران (١٢) الجهمة (٢٣) الزاوية
(٢) آل شياع (١٣) قحيم (٢٤) آل الثنا
(٣) عثمان (١٤) الدرب (٢٥) شبيرمة
(٤) المحافيظ (١٥) ابن النمر (٢٦) مثاب
(٥) آل سارغة (١٦) فرحان (٢٧) دارمة
(٦) آل عازب (١٧) ابن عاطف (٢٨) ابن كليب
(٧) حمالة (١٨) العبيدية (٢٩) ابن مظهر
(٨) العقيق (١٩) آل عطيف (٣٠) الجوبة
(٩) العرابة (٢٠) آل ظالم (٣١) آل مكر
(١٠) آل الخلف (٢١) الزهرة (٣٢) سهيب
(١١) الوسط (٢٢) آل مانع (٣٣) أهل سعيا

ويلاحظ بكل جلاء أنّ أكثر الأسماء الواردة إنما هى فى الواقع فى أسماء فروع القبائل الساكنة فى القرى نفسها ، وهذا الاستعمال ناشىء عن تغلب اسم القبيلة على اسم القرية نفسها .

الفصل السادس

رجال ألمع ورجال الحجر

نسب ألمع وأقسامها — قرى ألمع وأوديتها — رجال الحجر — قبيلة بنى شهر — قضاء محائل .

١ — نسب ألمع وأقسامها

تقع بلاد ألمع إلى الغرب من بلاد قبيلة عسير ، وتتاخمها فى منقلب السراة الغربى التى يسميها أهلها « الطور » ، وأهل البلاد يحسبون ألمع تهامة لعسير .

وقد غلبت على ألمع تسميتها برجال ألمع ، مع أن « رجال » إحدى البلدتين الشهيرتين : « رجال » و « الشعبين » فى هذه المنطقة كما سنذكره فى موضعه . أما القبيلة نفسها فلم أستطع التثبت من كونها قبيلة « ألمع » أو أنها قبيلة « آل مع » كما أرجّح ، ثم حرفت فأصبحت « ألمع » .

وتنسب قبيلة ألمع إلى « أزد شنودة » . ويعيّرهم جيرانهم بأنهم من بنى قريظة نظراً لتقلبهم وكثرة فسادهم وشرورهم . وينضوى تحت لواء القبيلة الأصلية الأزدية فرقتان هما : « أهل صلب » و « بنو زيد » وأصلهما من بكر مثل أهل الدرب ، إلا أن هذا التمييز فى الأصول فقط لا فى العادات والمعاملات .

وتمتد ديرة ألمع على سفوح الطور الغربية مما يصاقب بلاد عسير من جنوبها إلى شمالها ، والصلات بين البلادين كثيرة ومتينة . وألمع تابعة لعسير اسما فى هذه الأيام ، وقد كانت تابعة لها أيام سلطانها وغلبتها ، وكانت أيام الحكومة العثمانية « قائمقامية » مرتبطة بمركز « المتصرفية » فى أبها ، وهى فى وقتنا الحاضر قضاء تابع لأمارة أبها أيضا .

يختلف أفراد ألمع عن مجاوريهم من عسير بعدة صفات ، ويمكن حسبانهم من المخضرمين بين قبائل تهامة وقبائل عسير من حيث عاداتهم ولباسهم ومظهرهم ،

أما من حيث قاماتهم فقد لاحظت أنه يغلب عليهم شكل القبائل اليمانية بقصر قاماتهم ونحافة أجسامهم وأشكال رءوسهم ووجوههم . إلا أن فيهم ظاهرة غريبة جداً بادية فى لون العيون ، فإن كثيرين منهم ذوو عيون خضراء مائلة إلى الزرقة . أما من ناحية الشكل الظاهر فإن ملابسهم لاتشبه ملابس أهل عسير لا فى لونها ولا فى تفصيلها ، بل هى خضراء دكناء تكسبهم شكلا فذاً فى بابه . ولهجتهم قريبة من لهجة أهل عسير القاطنين سفوح الطور الغربية فى قلبهم لبعض الحروف عن مخارجها وفى نطقهم للقاف والكاف بما يشبه نطق الألمان واليونان للخاء أى بين الخاء والشين .

ويبلغ غزو ألمع ٧٠٠ مجاهد ، وقد ضوعف هذا العدد فى الوقائع الأخيرة مع اليمن وكان فى وسع القبيلة استبدال المجاهدين من وقت إلى آخر . وقد قدروا عدد سكانها بما لا يقل عن ٣٠ — ٤٠ ألف نسمة .

ويحيط بالقبيلة من جنوبيها بنو شعبة أهل الدرب فى وادى عتود ، ومن شماليها آل موسى و بنو توعة من قبائل بارق ومحائل ، ومن شرقيها عسير بأقسامها الأربعة ومن غربيها قبائل المنجحة و بنى هلال وقنا و بحر بن سكينة .

وتقسم القبيلة إلى عشرة أقسام ، غير أنها — حين الجهاد — تنضوى تحت سبعة ألوية ، والواقع أن بعض الفروع الصغيرة أرادت أن تنفصل ، لكنها داخلة ضمن الفروع الكبرى ، وفيما يلى أسماء البطون مع أفخاذها :

أولا — بنو قطبة : مركزهم الشعبين ، ولهم أربعة فروع :

(١) آل موهوب
(٢) فرع يسكن الشعبين
(٣) فرع يسكن الشرفة
(٤) فرع يسكن مجمان

وينضوى تحت هذا البطن فخذ مستقل يعرف بفخذ « أهل العوص » .

ثانياً : بنو ظالم : وأفخاذهم :

(١) آل جميدة (٥) آل درقة (٨) مهال
(٢) « السلمى (٦) المقاصدة (٩) آل جائز
(٣) « حليما (٧) أهل ذنب النقر (١٠) « عمقة
(٤) أهل قرية رجال

ويتبع « بنى ظالم » بطن يسمى « البنما » ، وفيه عشائر كثيرة ، أهمها :

(١) الحارث (٣) المشهورة (٥) آل رقصان
(٢) آل هبة (٤) آل سمعى (٦) الحلاوية

ثالثاً : بنو شحب : وفيهم فخذان :

ا — بنو عبد ، وهم :

(١) آل المسحم . (٤) آل قفيل .
(٢) « زياد . (٥) « فقوة .
(٣) « رادة .

ب — بنو شديدة ، وهم :

(١) الغمور (٣) آل مفلح .
(٢) الصواقعة . (٤) المخلوطة .

رابعاً : بنو قيس : وفيهم الأفخاذ الآتية :

(١) آل المتعالى (٤) أهل المرار (٦) الصدر
(٢) آل يعلى (٥) آل الرصوب (٧) أهل شعفى
(٣) آل الجرعة

خامساً : بنو زيد ومنهم :

(١) آل حيان (٣) آل الرويعى (٥) أهل دبلة
(٢) آل الملك (٤) آل الشحطة (٦) آل النجعين

سادساً : بنو حمونة ومنهم :

ا — آل العلا

ب — آل جندابو

ح — آل اللحجين ، وهم أربع عشائر هى :

(١) آل الحسين (٣) آل المسبلة

(٢) آل عبيد (٤) آل محلبة

سابعاً : أهل صلب وفيهم :

(١) آل عراف (٤) آل السِّروة (٦) أهل السرو

(٢) المحجرة (٥) آل الشعبى (٧) جحدة

(٣) معلين

ويطلق أهل هذه البلاد اسم « بكر » على بنى زيد وأهل صلب ، كما يطلق اسم بنى تغلب على بنى شعبة ، وربما كان هذا تشبيهاً ببكر وتغلب لا بسبب نسبة صحيحة بين القبيلتين .

ويقيم بين قبيلة ألمع فريق من السادة يعرفون بالسادة « الحفاظية » (واحدهم حفظى) هم بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة . وقد اطلعت على كراسين مخطوطين من تأليف بعض قضاة الحفاظية اسم الأول : « الديوان المرضى » تأليف أحمد « الحفظى » . واسم الآخر : « الظل الممدود ، فى سيرة ملوك آل سعود » .

وكلاهما يبحث فى تاريخ الحركة السلفية فى نجد و بعثها على يد الإمام محمد بن سعود وشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى القرن الماضى ، وتاريخ فتح عسير وتهامة وغير ذلك من الأحداث .

٢ — قرى ألمع وأوديتها

بلاد ألمع مجموعة جبال ووديان . وأهم الوديان التى تقوم حولها القرى الهامة أربعة هى :

أولا : وادى حَلِى : ويمرّ فى بلاد ثلاثة بطون من ألمع ، فعلوّه لبنى قطبة ، ووسطه لبنى ظالم ، وأسفله للبَنَا ، وهو يطلع من الطور أى السراة ، ويصب فى البحر الأحمر عند قرية مخشوش المسماة حَلى ابن يعقوب ، وتقع عليه القرى الآتية :

(١) العوص (٧) مندر العوص (١٣) الحارث وهى أول قرى البنا
(٢) المشايع (٨) ضاحية أول قرى بنى ظالم (١٤) أهل تنومة
(٣) آل مبيوع (٩) الجبيل (١٥) أهل سمعى
(٤) الأصم (١٠) تمابة (١٦) رتعان
(٥) غنمة (١١) الظهرة (١٧) ردام
(٦) الجزعة (١٢) الفقى

ويتهى العمران عند ردام إلى مسافة مرحلتين للمطية حتى يصب الوادى فى البحر عند حلى ابن يعقوب . ويصب فى هـذا الوادى أودية كثيرة أهمها وادى الشعبين الذى يدفع فى مندر العوص ، ووادى عمقة لبنى ظالم يصب فى وادى حلى بقرب ثفعى . وتقوم عليه ثلاث قرى : عمقة ، والرديف ، والحريزة .

ثانياً : وادى كسان : علوّه لبنى ظالم ووسطه لقيس وأسفله لبنى جونة ومنتهاه لأهل صلب . ينبع من جبل قوة ، وتقوم عليه القرى الآتية :

(١) رجال قرية مشهورة (٥) رحبى (٩) الدير لأهل صلب
(٢) البيح (٦) العطفة (١٠) الحبيب
(٣) البتيلة لقيس (٧) الضيق (١١) شط مسكة
(٤) القفا لبنى جونة (٨) مُحْلِيَة

و بمد شط ميكة يجرى الوادى فى القفر إلى أن يدفع فى البحر بقرب القَحْمَة .

ثالثاً : وادى ريم : لشحب و يطلع من جبل شحب و يصب فى كسان عند حدود أهل صلب ، و يتفق الواديان و يصبان معا فى القحمة ، وتقع على الوادى القرى الآتية :

(١) الصدارة	(٤) الباخة	(٦) ذو المصون
(٢) شوحطة	(٥) ضـلاع	(٧) الأثل
(٣) عكنة .		

رابعا : وادى حسوة : وهو لقيس و بنى يزيد ، و يطلع من الطور بقرب العوص ، و يصب فى درب بنى شعبة ، أى فى ملتقى وادى ضلح بوادى عتود ، وفيه من القرى :

(١) الصدر	(٤) الحبلة	(٧) النجود
(٢) الذروة	(٥) الفنيان	(٨) المرايفة
(٣) الرصوب	(٦) هيصمة	

وأما القرى الجبلية فكثيرة ؛ نذكر منها فيما يلى ما كان لكل بطن من بطون القبيلة على حدتها :

ا — قرى بنى ظالم :

(١) قوة	(٤) الضحى	(٦) أم لوان
(٢) المرواح	(٥) الشرف	(٧) القاربة
(٣) المدرقة		

ب — قرى بنى قطبة :

(١) الشرفة	(٣) عُرْ	(٥) سالع
(٢) محجان	(٤) شوكان	

جـ — قرى قيس :

(١) المرار	(٣) القلة	(٥) الحورة
(٢) مويركة	(٤) العرة	

د — قرى جونة :

(١) العصادة (٣) وطن آل جندب (٥) المسكتة
(٢) القارية (٤) المشبلة (٦) أهل الشرف.

هـ — قرى أهل صلب :

(١) الحجرة (٣) أهل السِّروة (٥) آل عراف
(٢) معلين (٤) الشعبى (٦) الكرى
(٧) أهل السرو

و — قرى شِحْب :

(١) الجم (٣) آل قفيل (٥) آل رادة
(٢) آل زياد (٤) آل فقوة

ز — قرى شديدة :

(١) غمرة ، وليس لها فى الجبال قرى غيرها .

أما بنو زيد فليس لهم فى الجبال قرى مطلقا .

وقد أخبرنى زيد بن غرارة من كبار ألمع أن قوانين القبيلة تقضى بجعلها قسمين

١ — ألمع الشام : وتتألف من بنى ظالم ، وشحب ، والبنا ، و بنى قطبة .

٢ — ألمع اليمن : وتتألف من قيس ، وجونة ، وصاب ، و بنى زيد .

٣ — رجال الحجر

يطلق اسم « رجال الحجر » على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد عسير وشهران جنوبا ، وبلاد بنى شهر وبالقرن شمالاً ، وشهران شرقا ، وقبائل محائل وبارق غربا ، والقبائل الثلاث هى : بالأحمر ، وبالأسمر ، وبنو عمرو . وهنالك من يقول إن اسم « رجال الحجر » لايشمل غير قبيلتى بالأحمر وبالأسمر وأن بنى عمرو ينسبون إلى الشلاوة وغيرهم .

أولا — قبيلة بالأحمر : أقرب القبائل إلى عسير ، وتبدأ حدودها اعتباراً من عقبة « شعار » وبلاد بنى مالك عسير إلى أن تتصل بقبيلة بالأسمر . وتقسم القبيلة إلى الأقسام الصغيرة الآتية :

(١) المجنّب	(٦) أهل لعبان	(١١) آل محمد
(٢) بنو ثعلبة	(٧) نازلة	(١٢) الغار بين
(٣) آل الأصلح	(٨) أهل هبح	(١٣) آل مخلد
(٤) آل القاسم	(٩) آل عزّام	(١٤) آل العلوى (امعلوى)
(٥) آل الزيان	(١٠) أهل بهلوان	

ويتبعهم فى تهامة فريق يسكن قرية « فرشاط » الواقعة فى آخر ما يمتدّ إليه بصر الواقف فى أعلى عقبة شعار إلى جهة مجرى الوادى على طريق « محائل » .

وتسكن القبيلة قرى شبيهة بقرى عسير وعددها ٣٠ قرية ، عدا قرية « فرشاط » فى تهامة ، وهى :

(١) عبل	(١١) آل مبارك	(٢١) آل عزّة
(٢) آل الضلع	(١٢) أهل الطويب	(٢٢) آل الصدامى
(٣) آل الزيان	(١٣) صبح	(٢٣) آل العلوى
(٤) مسفرة	(١٤) آل عامر	(٢٤) الزَّبِيَّة
(٥) بنى ثعلبة	(١٥) آل رشيد	(٢٥) عبالة
(٦) آل عصاة	(١٦) قرابنة	(٢٦) آل مُورِق
(٧) الهبشة	(١٧) آل رافع	(٢٧) آل حسين
(٨) الخلالة	(١٨) جذام	(٢٨) آل عمر
(٩) أهل عبالهم	(١٩) بيحان	(٢٩) المادين
(١٠) آل مخلد	(٢٠) آل كامل	(٣٠) آل الشاعر

obeikandl.com

ثانياً — قبيلة بالأسمر : كبير هذه القبيلة عبد الله بن على بن حرمان ، ودیرتها إلى الشمال من دیرة بالأحمر ، وفيها الأقسام الآتية :

(١) ذبوب (٤) بنو قاعد (٧) آل عياء
(٢) آل خريم (٥) أهل حوران (٨) بنو جنادة
(٣) سدوان (٦) أهل الفيح

وأما قرى هذه القبيلة فهى :

(١) بنو مالك (٣) القواعد (٥) أهل الفاحتية
(٢) أهل حزم (٤) آل الطير (امطير) (٦) أهل الشبين

وفى تهامة فروع كثيرة تتبع « بالأسمر » ، وبعضهم يحسب أهل « فرشاط » منهم ، غير أنها فى الواقع تابعة لقبيلة بالأحمر . أما الذين فى تهامة من بالأسمر فهم :

(١) آل حماد (١٤) آل خالد (٢٦) القرعة
(٢) السوق (١٥) آل غماد (٢٧) آل معلم
(٣) ذوبوب (١٦) آل أمّ عقيف (٢٨) آل ليم
(٤) غاشرة (١٧) شغب (٢٩) آل مداد
(٥) وعلام (١٨) مضوعى (٣٠) آل المعتلى
(٦) آل عمير (١٩) أمّ قشيع (٣١) شثة
(٧) عطيفة (٢٠) الجزعة (٣٢) عتمة
(٨) الحظيرة (٢١) العطفة (٣٣) محرز
(٩) آل رزق (٢٢) رحبى (٣٤) آل مسهل
(١٠) القرى (٢٣) الفرسة (٣٥) أسود
(١١) آل مطرق (٢٤) عينين (٣٦) ريدان
(١٢) محور (٢٥) البطين (٣٧) مارد
(١٣) أبو خشرة

oberkandl.com

ثالثاً — قبيلة بنى عمرو : تقع ديار هـذه القبيلة إلى الشرق من ديار بالأحمر وبالأسمر .

٤ — قبيلة بنى شهر

قبيلة بنى شهر من أهمّ القبائل العربيـة على السراة ، ويحدّها من الشمال : غامد وزهران وبالقرن ، ومن الجنوب : رجال الحجر ، ومن الشرق : بيشة وشهران ، ومن الغرب : قبائل القنفذة . وكانت بلاد هـذه القبيلة أيام الحـكومة العثمانية « قضاء » فيه قائمقام مركزه بلدة « النّحّاص » أكبر قرى القبيلة . وكانت القبيلة وقتاً ما تابعة للسيد محمد على الإدريسى ، غير أنها كانت أقرب إلى مكة منها إلى صبيا أو أبها ، وذلك بسبب أواصر النسب بينها وبين الأشراف فى مكة ، ومنذ قيام الحـكومة الحاضرة أتبعت لإمارة عسير ، أسوة بالقبائل السابق ذكرها فيما مرّ من الـكتاب ، وبالقبائل التى سنذكرها فى النبذة الآتية .

وقد اختلف فى تقسيم القبيلة وتفريعها ، فبعضهم يعتبرها أربعة أقسام والبعض الآخر يعتبرها قسمين ، إذ أن الإدريسى — حينما كان حاكما — قسم بنى شهر إلى قسمين :

١ — سلامان ، ويتبع العَسْبَلى .

٢ — بنو أثلة ، ويتبع الشبيلى .

ولـكنه لم يتبع طريقة معينة فى إدخال الفروع فى هذين الأصلين ، ولم يتّبع التسلسل بالميلاد ، بل كان تقسيمه على حسب اجتهاده . وقد ألغى هذا الترتيب الآن ، وعادت التقسيمات إلى ما كانت عليه من قبل تبعاً للعنعنات التى ورثتها القبيلة والتى تقضى بقسمتها إلى الأقسام الموضحة فيما يلى :

أولا : بطن شهرة الأمين أو الكلائمة : وتتبعه الأفخاذ الآتية :

(١) بنو بكر
(٢) بنو قشير
(٣) بنو جبير
(٤) آل ابن ريّاع

ولهذا البطن أتباع فى تهامة هم : فخذ عَبْس ، وفيه من العشائر :

(١) أهل الحيد	(٣) الحصنة
(٢) آل عبيد	(٤) آل عمّار

ثانياً : بطن العوامر ، وتتبعه الأفخاذ الآتية :

(١) بنو مشهور	(٤) آل سودة	(٧) كنانة
(٢) بالحصين	(٥) مليح	(٨) بنو لام
(٣) آل بهيش	(٦) دحيم	

وأتباع العوامر فى تهامة هم : أهل أترب ، وصميون وأقسامهم :

(١) آل يحمد	(٣) آل محجوبة	(٥) العصمة
(٢) آل يعلى	(٤) آل محباشى	

ثالثاً : بطن بالحارث أهل الشعفين ، أو أهل وادى تَنُومَة ، وفيه الأقسام الآتية :

(١) أهل تنومة	(٣) حبيهة	(٥) آل الصعدى
(٢) آل دحمان	(٤) الجهاضمة	(٦) الحصون

ولهذا البطن فى تهامة أتباع فى نَعْص والمنظر وَ بِجْرَة ؛ وأكثرهم من البدو الرُّحَّل

رابعاً : بطن بنى التيم ، وفيه الأقسام الآتية :

(١) آل وليد	(٣) آل زيدان
(٢) آل ليلح	(٤) خشرم

وأتباعهم فى تهامة :

(١) بنو حسين	(٥) بنو مخلد
(٢) بالمجدع	(٦) آل شغيب
(٣) بنو زهير	(٧) آل حميت
(٤) المجاردة	(٨) آل الأملح

وللقبيلة فريقان آخران يتبعانها هما :

ا — شهر الشام . وفيه ثلاثة أقسام :

(١) بنو ثابت ، وقريتهم السروة

(٢) بنو الأوس

(٣) أهل القبل

ب — قبيلة تربان : وهم بدو رحّل مازالوا على الفطرة يسكنون المغاور والكهوف وحالتهم الاجتماعية فى غاية الانحطاط .

ولقبيلة بنى شهر أسواق أسبوعية شهيرة ، نذكر أهمها فيما يلى :

١ — سوق تنومة فى قرية آل صفوان	يوم السبت
٢ — سوق عبس	« الأحد
٣ — سوق المجازة	« الاثنين
٤ — سوق الخماص فى قرية العسابلة	« يوم الثلاثاء
٥ — سوق شهرة الأمين فى السرو	« الأربعاء
٦ — سوق بنى التيم فى قرية الخضرة	« الخميس
٧ — سوق أترب	« الجمعة

أمّا قرى القبيلة فتزيد على المائة ، مما يدل على غناها وأهميتها ، وهى :

(١) التمامى	(٢) منعا	(٣) المركبة	(٤) آل ثابت
(٥) السنظوف	(٦) شعيبة	(٧) المتن	(٨) النصاب
(٩) روق	(١٠) الحفير	(١١) الصمدة	(١٢) سدومة
(١٣) خصيرى	(١٤) الوهدة	(١٥) الحلقة	(١٦) بيضان
(١٧) آل عمر	(١٨) آل حفس	(١٩) ربع هزاع	(٢٠) الوطا
(٢١) ماولد على	(٢٢) السوق	(٢٣) المهد	(٢٤) الصبيات
(٢٥) الفنان	(٢٦) التيس	(٢٧) القرعة	(٢٨) آل محمل

obeikan.com

(٢٩) الفضول	(٣٠) حِبِّى	(٣١) القلت	(٣٢) مجاوب
(٣٣) البزوة	(٣٤) آل ايدى	(٣٥) العماسية	(٣٦) محذل
(٣٧) العامسة	(٣٨) آل سعد	(٣٩) العرف	(٤٠) آل حسين
(٤١) اللهبة	(٤٢) الميغى	(٤٣) معمع	(٤٤) آل صفوان
(٤٥) زينب	(٤٦) البردة	(٤٧) مليح	(٤٨) آل مرحب
(٤٩) الحدب	(٥٠) العلا	(٥١) آل سلام	(٥٢) منعا المجدل
(٥٣) الطرف	(٥٤) شَرِى	(٥٥) آل حشاة	(٥٦) آل يسار
(٥٧) رزيق	(٥٨) الحلاة	(٥٩) جرادة	(٦٠) آل ذخران
(٦١) الشهوم	(٦٢) صعبان	(٦٣) عصيين	(٦٤) آل معافى
(٦٥) الأحَض	(٦٦) صخيف	(٦٧) قويس	(٦٨) آل مروح
(٦٩) آل عريف	(٧٠) الشرف	(٧١) الدحمان	(٧٢) العوصا
(٧٣) جار	(٧٤) علبة	(٧٥) فيلتة	(٧٦) الدهنا
(٧٧) آل بهيش	(٧٨) القرية	(٧٩) الفذال	(٨٠) الخربة
(٨١) منزل العشر	(٨٢) أهل عرعرة	(٨٣) الحصون	(٨٤) عطية
(٨٥) مرزوق	(٨٦) آل رحمة	(٨٧) آل ناشر	(٨٨) آل عقيقة
(٨٩) المدانة	(٩٠) العرق	(٩١) مسلمة	(٩٢) آل قحطان
(٩٣) خصرا	(٩٤) مجيرة	(٩٥) آل طوير	(٩٦) الشبرقة
(٩٧) قبيس	(٩٨) الحلقة	(٩٩) الحباوة	(١٠٠) القيم
(١٠١) أريامة	(١٠٢) لجج	(١٠٣) خشرم	

٥ — قضاء محائل

قضاء محائل من توابع إمارة عسير، وهو على طريق المسافر من أبها إلى القنفذة، وفيه من القبائل خمس هى :

ا — قبيلة الرَّيْش : ولها من القرى :

(١) أم شمتار (٤) الحماطة (٦) أم كدس
(٢) شعبين (٥) قرن الماء (٧) أم حضن
(٣) معشى أم حُضو

ب — قبيلة آل مِشْوِل : ويحسبها بعضهم من الرَّيْش . وفضّلنا إفرادها بالبحث ، ولها من القرى :

(١) حصن أمّ خيالة (٢) أم ظاهر (٣) المائخ

حـ — قبيلة آل الدريب : وقراها :

(١) شرقش (٢) مصبح (٣) الراحة (٤) العين أو أمعين

د — قبيلة آل موسى : وقراها :

(١) بلدة محائل (٥) آل عمر (٨) الثبجة
(٢) المعشى (٦) آل عيسى (٩) أم صحف
(٣) أم نصب (٧) مقهب (١٠) محصن
(٤) أم جريان

هـ — قبيلة بنى ثُوعَة : وقراها :

(١) أم بطح (٥) قرين (٨) أهل سامة
(٢) آل غنية (٦) أهل البدلة (٩) أهل العيدة أو أمعيدة
(٣) آل مشيدة (٧) حسن بن شاطبة (١٠) آل قبيس
(٤) الشط أو أمشط

obeikandl.com